المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والاعلام
قسم الدعوة والاحتساب

الايـواء والنصـرة في العهـــد النبـوي

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير مقدم لكلية الدعوة والاعلام

قســم الدعـــوة والاحتساب

إعـــداد

الطالب / إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله الجريد

إشـــراف

الدكتور / عبـــد الله يوسف الشـــاذلي

١٤٠٥ ــ ١٤٠٦هـ

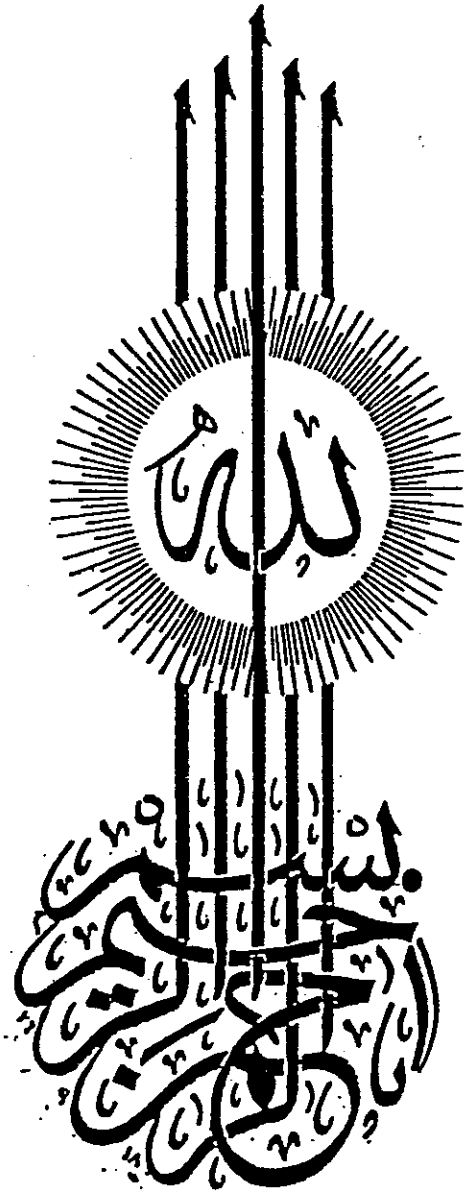
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
****

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفســـــنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبـــــــــده ورسوله - صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعـــد :-

فإن من الواجب على العلماء وطلاب العلم بل من أوجب الواجبات العنايـة بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - من حيث الدراسة والحفـــــظ والإستنباط والتحليل وإيضاحه للناس حتى يكون هو الحكم بين الناس فـــــــى حياتهم ، وذلك أن دين الإسلام نظام شامل ينظم جميع نواحي الحياة ، صالـــح لكل زمان ومكان ، وأن أفضل القرون من أمة محمد - صلى الله عليه وســـــلم هو القرن الذى عاش فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكـــرام حيث أكتمل الدين علما وعملا وطبق كاملا فى جميع نواحي الحياة ، لهـــــــذا كله تبرز أهمية دارسة السيرة النبوية للإطلاع على صورة حية من واقع الاســـــلام والمسلمين فى ذلك الحين. والإطلاع والتزوّد من سيرة النبى الكريم - صلى اللـه عليه وسلم - هو الهدف الوحيد وراء اختيارى لهذا الموضوع ذلك لأني أحـــس أنها زاد يدفع المسلم نحو إسلامه ، وتطلعه كيف كان يعيش الصفوة المختـــارة

مع الإسلام تحت إشراف النبي - صلى الله عليه وسلم - لذا أخترت هذا الموضوع بعنوان دور الإيواء والنصرة في تمكين الدعاة من الدعوة في العهد النبـــــوي وهو يبحث في جانب من جوانب السيرة النبوية التي حدثت فيها نصرة للداعيـــة الأول - صلى الله عليه وسلم - وكان له أثر في تسهيل أمر الدعوة في ذلك الوقـــت وموضوع السيرة قد قتل بحثاً من العلماء والباحثين ولله الحمد والمنة إلا أحـــس أن هذا الجانب منها لم يُعط حقه ، فأقحمت نفسي في هذا الموضوع وإن كنـــت لست له بأهل ولعلي أكون سبباً في دفع أحد الجهابذة من العلماء لإيضاحه للمسلمين وقد تمت دراسة هذا الموضوع عن طريق تقسيمه إلى تمهيـــد وثلاثة فصول وخاتمة .

أما التمهيد فقد اشتمل على بيان عظمة الرسالة والنبوة وأنها أمانة عظمـــى ومسؤولية كبرى أُلقيت على عاتق النبي - صلى الله عليه وسلم - ليبلّغ هذا الديـــن عن ربه في مجتمع بعد عن الحق وصل إلى أنه محتاج للإيواء والنصرة لكي يبلـــغ هذه الرسالة الإلهية ، وختمتُ التمهيد بتعريف لغوي واصطلاحي لكلتي الإيـــواء والنصرة .

أما الفصل الأول فهو بعنوان الإيواء والنصرة في العهد المكي ويتكون مـــــن مبحثين : المبحث الأول جهـــود المسلمين .

" الثاني " غير المسلمين .

أما الفصل الثاني فهو بعنوان الإيواء والنصرة في العهد المدني ويتكون من مبحثين
المبحث الأول : بيعتا العقبة الأولى والثانية كمقدمة للإيواء والنصرة

المبحث الثاني : مظاهر الإيواء والنصرة في المدينـــــــــــة .

أما الفصل الثالث فهو بعنوان : دور الإيواء والنصرة فى مقاومة الأعداء ويتكون هذا الفصل من مبحثين أيضا .

الأول : دورهما فى مقاومة الأعداء داخل المدينة

الثاني : " " " " خارج المدينة .

ثم ختمت البحث بالخاتمة التى بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من هذا البحث،والمنهج الذي اتبعته فى هذا البحث هو المنهج التأريخي .

وأخيرا وليس آخرا فإن هذا جهد المقل ولا أدعي الكمال بل أعترف بالعجز والتقصير مع بذل الجهد والطاقة وعدم الكمال طبيعة البشر كما قيل عن العماد الأصفهاني : أنه يقول إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا فى يومه إلا قال فى غده لو غير هذا لكان أحسن ،ولو زيد لكان يستحسن ،ولو قدم هذا لكان أفضل ،ولو ترك هذا المكان لكان أجمل ،وهذا من أعظم العبر ،وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

ولا أنسى فى ختام هذه المقدمه أن أقدم شكري لله عز وجل أولا وأخيرا على ما من به علينا من نعمة الإسلام وعلى ما يسره لي من البحث فى هذا الموضوع والتعامل مع العلماء من خلال كتبهم وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم "لا يشكر الله من لا يشكر الناس)"(١)

فإني أقدم شكري لجامعاتنا الحبيبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة فى كلية الدعوة والإعلام ،وكذلك أقدم شكري لشيخي وأستاذي الجليل

---

(١) أبوداود حسن أبوداود جـ ٤ ص ٢٥٥ حديث رقم ٤٨١١

الدكتور / عبدالله الشاذلي ، والذى بذل كل ما في وسعه لمساعدتـــي ففتح صدره الرحب لي كما فتحه لزمـــلائي .

كما أشكر كل من ساهم معي فى هذا البحـــث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالميـــن ؛

كتبـــه :

إبراهيم بن عبدالرحمن الجريـد

تمهيـــــــد

كانت النبوة حدثا هائلا في مكة ومسؤلية عظمى ألقيت على عاتق المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ وكانت هذه النبوة تعني اتصال السماء بالأرض واخراج الناس ... جميع الناس من ظلمات الكفر والجهالة إلى نور الإسلام والهداية الربانية ، ولما كانت حدثا هائلا في حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابد من المقدمات التي تهيئ الجو المناسب لإستقبال هذه المهمة ، فكانت البدايات الأولى تتمثل في الرؤيا الصالحة في النوم كما قالت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها في الحديث الذي رواه الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه ((أول ما بدئ به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)) (١) كما أن هناك علامات أخرى ـ تمهد للنبوة أوردتها كتب السير وجاء في كتاب السيرة لابن هشام ((أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم حين أراده الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج أبعد

---

(١) ابن حجر العسقلاني ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١ ص ٢٣ تحقيق وتعليق فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ مطابع الامام محمد بن سعود الاسلامية .

حتى تحسر عنه البيوت ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يارسول الله . قال : فيلتفت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة (١) ويشهد لهذا ويؤيده ما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ((إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن)) (٢) ولاشك أن تسليم الحجر على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بل وتسميته بأنه رسول الله من إرهاصات النبوة ومهدئا لما قد يحصل في المستقبل القريب من مفاجآت غير متوقعة ، وهكذا توالت مثل هذه الحوادث على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمهيدا لابتداء النبوة كما قلنا . ثم إنه ((حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية ج١ ـ ص ٢٥٠ ـ ط دار أحياء التراث العربي بيرون لبنان بتحقيق الأساتذه . مصطفى السقا ، ابراهيم الإبياري عبدالحفيظ شلبي ، ـ وانظر بن جرير الطبرى تاريخ الامم والملوك ج٢ ـ ص ٢٩٥ ط . دار سويدان بيروت لبنان تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وابن سعد الطبقات الكبرى ج١ ـ ص ١٥٧ ـ دار صادر بيروت ابن الإثير انكامل في التاريخ ج٢ ـ ص ٣٠ ط دار الكتاب العربي وابن كثير البدأية والنهاية ج٢ ـ ص ١١ مكتبة المعارف بيروت لبنان ١٩٧٨ م ابن سيد الناس ـ عيون الأثر ج١ ـ ص ٨٣ ط دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان

(٢) النووي صحيح مسلم ح١٥ ـ ص ٢٦ ـ ط رئاسة البحوث العلمية والأفتاء المملكة العربية السعودية .

حراء فكانت هذه الواقعة شديدة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث ذهب خائفا يرجف فؤاده وخشي أن يكون به شئ من الجنون فكان حينذاك يحتاج إلى من ينصره ويؤويه ويؤيده ويقف بجانبه ويشد أزره ويساعده إلى أداء هذه المهمة العظيمة التي أبت السموات والأرض والجبال عن حملها ، ومنا لابد من تفصيل البيان عن هذه النصرة التي حصلت له - صلى الله عليه وسلم - وقبل ذلك يحسن بنا أن نتعرف على المعنى اللغوي والإصطلاحي لهاتين الكلمتين الإيواء والنصرة .

أولا : معنى كلمة الإيواء لغة قال في الصحاح (وآويته أنا أيواءا وأويته ايضا إذا أنزلته بك)(١)

وفي اللسان أوى وآوى بمعنى وأحد ، وفي حديث البيعة أنه قال للأنصار : أبايعكم على أن تؤوني وتنصروني أي تضمونني إليكم وتحوطوني بينكم (٢) .

وفي القاموس المحيط وأويته وآويته أنزلته (٣) وقال الراغب (أوى والمأوى مصدر أوى يأوي أويا ومأوى تقول أوى إلى كذا إنظم إليه)(٤)

---

(١) الجوهري - الصحاح - ج٢ - ص ٢٢٧٤ - ط دار العلم للملايين ت / أحمد عبدالغفور عطار الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٣٧٩ م

(٢) ابن منظور - لسان العرب ج١٤ - ص ٥١ ط دار صادر بيروت

(٣) الفيروز آبادي - القاموس المحيط ج٤ - ص ٣٠٢ ط دار الجيل

(٤) الراغب الأصفهاني - المفردات في غريب القرآن ص ٣ ط دار المعرفة ت / محمد سيد كيلاني -

وبعد هذا الإستعراض لهذه الكلمة من كلام العلماء يتبين معناها الإحاطه والظلم ٠

أما كلمة النصرة في اللغة : قال في الصحاح (نصره الله على عدوه ينصره نصرا والإسم النصرة ، والنصير : الناصر ، والجميع أنصار مثل شريف وأشراف) (١) ٠ وفي اللسان النصر إعانة المظلوم نصره على عدوه ينصره ، ونصره ينصره نصرا وفي الحديث أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ، وتفسيره أن يمنعه من الظلم إن وجده ظالما وإن كان مظلوما أعانه على ظالمه والإسم النصرة) (٢)

وفي القاموس : نصر المظلوم نصرا ونصورا أعانه ونصره منه نجاه وخلصه والنصير الناصر وأنصار النبي ـ صلى الله عليه وسلم غلبت عليهم الصفه والنصرة حسن المعونة (٣) واخيرا يقول الراغب الأصفهاني نصر : النصر والنصرة ألعون قال : (نصر من الله والفتح) ٠٠٠ والإنتصار والإستنصار طلب النصرة (٤) ٠فهي إذا تعني حسن المعونه ٠

---

(١) الجوهري ـ الصحاح ج٢ ـ ص

(٢) ابن منظور ـ لسان العرب ج٥ ـ ص ٢١٠ ٠

(٣) الفيروز أبادي القاموس المحيط ج٢ ـ ص ١٤٨

(٤) الراغب الإصفهاني ـ المفرداد ص ٤٩٥ ٠

ثانيا : معنى كلمة الإيواء والنصرة في اصطلاح العلماء .

ورد معنى هذه الكلمة تحت قول الله تعالى (والذين آوو ونصروا) في كتب التفسير قال: النيسابوري : أي الذين أنزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم مأوى ونصروهم على أعدائهم (١) . كما قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ والذين آوو رسول الله والمهاجرين معه يعني أنهم جعلوا لهم مأوى يأوون إليه وهو المثوى والمسكن بقول أسكنوهم وجعلوا لهم من منازلهم مساكن إذ أخرجهم قومهم من منازلهم (٢) .

كما قال إبن الجوزي في زاد المسير يعني الأنصار آوو رسول الله وأسكنوا المهاجرين ونصروهم على أعدائهم (٣) أهـ

وهذا المعنى الإصطلاحي لهاتين الكلمتين هو الذي حصل من الأنصار رضي الله عنهم ـ كما سيتبين إن شاء الله في ثنايا هذا البحث.

---

(١) النيسابوي ـ تفسير غرائب القرآن ـ هامش جامع البيان للطبري المجلد السادس الجزء العاشر ـ ص ٢٩ ط دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ

(٢) الطبري ـ جامع البيان ـ مجلد السادس الجزء العاشر ص ٣٦

(٣) ابن الجوزي ـ زاد المسير في علم التفسير ج٣ ـ ص ٣٨٥ المكتب الاسلامي الطبعه الثالثة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م

الفصـــــل الأول

ألإيـــواء والنصـــرة فـــي العهـــد المكي

وينقسـم هـذا الفصل إلـى مبحثيـن ـ المبحـث الأول ـ ألإيـواء والنصـرة مـــــن المسلميـن ـ والثانـي جهـود غيـر المسلميـــن ·

المبحـث الأول ـ الإيـواء والنصـرة مـن المسلميـن

منـذ أن بعـث محمـد ـ صلـى اللـه عليـه وسلـم ـ واللـه سبحانـه وتعالـى يرعـاه ويحوطـه بعنايتـه ونصـره كمـا قـال سبحانـه (إلا تنصـروه فقـد نصـره الله إذ أخرجـه الـذيـن كفـروا ثانـي اثنيـن إذهمـا فـي الغـار إذ يقـول لصاحبـه لاتحـزن إن اللـه معنـا فأنـزل اللـه سكينتـه عليـه وأيّـده بجنـود لـم تروهـا وجعل كلمـة الذيـن كفروا السفلـى وكلمـة اللـه هـي العليـا واللـه عزيز حكيم)"[١]" ومـع نصـرة اللـه وتأييده تحركـت عواطـف المسلميـن والمؤمنيـن بـه وبدعوتـه بالنصـرة والتأييـد ولعـل أول مـا يواجهنـا فـي ذلـك حينمـا نقـرأ فـي كتـب السيـرة خديجـة ـ رضـي اللـه عنهـا ـ(تلـك الزوجـة الصالحـة العاقلـة ، طاهـرة النفـس زكيـة الخلـق فلقـد كانـت أول المؤمنيـن بـه وبدعوتـه ـ صلـى اللـه عليـه وسلـم ـ وهـو يجابـه بالتوحيـد شـرك العـرب جميعـا ، فكـان كلمـا سمـع من معارضيـه ردا أو تكذيبا شكـى ما يلقى لزوجتـه البـرة فتثبتـه وتخفف عنـه وتهون عليـه أمر الناس)) (٢) كمـا أنهـا وقفـت مـع الرسـول ـ صلـى اللـه عليـه وسلـم ـ(موقفا من أشرف المواقـف التي تحمد لامرأة فـي الأوليـــــــــــن

---

(١) سـورة التوبـة آيـة ٤٠

(٢) د/ عمـادذ الدين خليل ـ دراسات في السيرة ص ٦١ ـ ط دار النفائس

والآخـــريـــن . طمأنتـه حيـن قلـق ، وأراحتـه حيـن جهـد، وذكرتـه بمـا فيـه مـن فضائـل مؤكـدة لـه أن الأبرار أمثالـه لايخذلـون أبـدا) (١)

فحيـن بعـث وتأخـر عـن موعـد رجوعـه خشيـت عليـه وأرسلـت فـــي طلبـه حتـى جاءهـا خائفـا فطمئنتـه ولتستمـع إليـه صلـى اللـه عليـه وسلـم وهـو يقـص علينـا خبـر ذلـك يقـول ((وانصـرفـت راجعـا إلـى أهلـي حتى أتيـت خديجـة فجلسـت مضيفـا إليهـا ، فقالـت : ياأباالقاسـم أيـن كنـت فواللـه لقـد بعثـت رسلـي فـي طلبـك حتـى بلغـوا مكـة ورجعـوا إلـــي ثـم حدثتهـا بالـذي رأيـت ، فقالـت : أبشـر يابـن العـم وأثبـت فوالـذى نفـس خديجـة بيـده إنـي لأرجـوا أن تكـون نبـي هـذه الامـة)) (٢)

بهـذه الثقـة الكبيـرة باللـه وبالهـام منـه سبحانـه تقسـم باللـه العظيـــم أنـه هـو نبـي هـذه الأمـة(ولعلهـا حيـن بشرتـه ورجـت أن يكـون نبـــي هـذه الأمـة لتواتـر الأخبـار بأن نبيـا سيبعـث فـي هـذا الزمـان (٣)

---

(١) محمـد الغزالـي ـ فقـه السيـرة ـ ص ٩٢ ط علـي بن علـي الـدوحـه ـ قطر

(٢) ابن هشـام ـ السيـرة النبويـة ح ١ ص ٢٥٤ ،ابـن الأثيـر الكامـل فـي التاريـخ ج ٢ ص ٢١ ابـن سيـد النـاس . عيـون الأثـر ج ١ ص ٨٥ ، ابـن جريـــر الطبـري تاريـخ الأمـم والملـوك ج ٢ ص ٢٠٢ ابـن كثيـر البـدايـة والنهايـــة ج ٢ ص ١٢

(٣) محمـد أبـو زهـرة ـ خاتـم النبييـن ج ١ ص ٢٠٩ ط دار الفكـــر

وهو الذي تدل عليه الوقائع التاريخية قبل بعثته .

(فهو منذ بلغ سن الرجولية كانت بشائر الغيب وإرهاصات النبوة تتوالى عليه قبل أن ينبأ ، وكانت خديجة - رضي الله عنها - على علم بالكثير من ذلك وقد ثبت أنها رأت الغمامة تظلله-صلى الله عليه وسلم - وهو قادم بتجارتها من الشام قبل أن يتزوجها وحدثها غلامها ميسرة وكانت قد بعثته معه ليقوم بخدمته في سفره - بما رأى وما شهد من الأعاجيب والآيات التي وقعت له-صلى الله عليه وسلم)[1] وفي صحيح البخاري نجدها تطلق كلمات النور والهداية (٢) لتثبته على الحق وتذكره بسجاياه الكريمة وصفاته الخلقية التي جبل عليها حيث ردت عليه حينما قال لها (إني خشيت على نفسي قالت كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتقري الضعيف ، وتعين على نوائب الحق)) (٣)

فجاءت هذه الكلمات

---

(١) محمد الصادق عرجون - محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ج١ ص ٣٣٢ دار القلم دمشق سنة ١٤٠٥ - ١٩٨٥

(٢) المصدر السابق

(٣) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري ح ١ ص ٢٣ ، انظر النووي صحيح مسلم بشرح النووي ح٢ ص ٢٠٦

(لتضيف إلى ما تحلى به صلى الله عليه وسلم من قوة اليقين والصبر ضروبا من المصابرة تزيد في شحنة عزيمته على المضي قدما في طريق أداء واجبه نحو هذه الإنسانية المعذبة في الأرض ، ليخرجها من ظلمات العبودية الوثنية بصورها وأشكالها الكافرة بتوحيد الله تعالى ، وإفراده بالتعبد له وحده ، إلى نور التحرر والمساواة الإنسانية في الحقوق والواجبات .

وكانت كلمات الإيمان الفطرى - من الزوجة الأمينة الوفية وزيرة الصدق ، ومأنس القلب والروح ، أعقل نساء العالمين تستشرف أفق مستقبل محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أطوار رسالته بأمل فسيح أفْيَح ،موصول بأخص عناصر حياته الخلقية وأفضل فضائل الإنسانية النبيلة مجموعة في طبيعة إنسان ، ولد بها وشب واكتهل عليها ... والماضي - أبدا - في حياة المصطفين المخلصين صحيفة تَكتُب فيها الحياة بقلم الغيب المكنون أنباء مستقبلهم في رسالاتهم ، ... والسيدة خديجة - رضي الله عنها كانت صفوة الندرة في إلهامها قراءة ماكتب قلم الغيب في صحيفة ماضي محمد صلى الله عليه وسلم من أنباء معالم مستقبله في رسالته ، فترجمت بكلماتها النورانية عنوانات تلك المعالم في مستقبله نبيا ورسولا

وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا). (١) ولا شك أنها رضي الله عنها حين أطلقت تلك الكلمات النورانية (خففت بها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شعر به من آثار المفاجأه الرهيبة وقد آب إليها من خلوته ومتعبده في حراء وقد رأت منه صلى الله عليه وسلم حالا من مشقة الجهد ، لم تكن تراها عليه من قبل في أوباته إليها ليتزود لخلواته) (٢) ومن هنا تبرز نصرة خديجة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم واضحة بينة كما تبرز أهمية الزوجة الصالحة في حياة الدعاة وأنها ضرورية لتقف بجانب الرجل في دعوته ولهذا يتحتم على إخواننا الشباب من الدعاة أن يتحروا الزوجة الصالحة حين الإقدام على الزواج فهي السكن القلبي والروحي وهي المتنفس الوحيد لآلام الداعية الرجل حين يهمه أمر دعوته ويلقي صدودا من البشر كيف لا وقد قال ربنا تبارك وتعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٣) وخديجة رضي الله عنها خير زوجة لخير زوج خفف الله بها عن رسوله ما الله به عليم ،(فكان لايسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه وتصدقه ، وتهون عليه أمر الناس)(٤)

---

(٣) سورة الروم آية ٢١

(٤) الهشام ـ السيرة النبوية ج ١ ص ٢٥٧ ابن سيد الناس عيون الأثر ج١ ص ٩١

(١) بتصرف من محمد الصادق عرجون ـ كتاب محمد رسول الله ج١ ص ٢٠٨ ـ ٢١٠

(٢) المصدر السابق

(فموقف السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ هو المثل الأعلى لما تستطيع الزوجة المؤمنة بدعوة أن تلعبه من دور كبير في نجاح زوجها الداعية ، وثباته ، واستمراره في دعوته)(١) والمرأة وهي أكثر من نصف المجتمعات اليوم ينبغي أن يُهتم بها حتى تفهم دورها ومسؤليتها تجاه الدين والمجتمع.والتأريخ يؤكد أهمية المرأة وقيامها بدورها خير قيام (وفي موقف عائشة وأسماء رضي الله عنهما ـ أثناء هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم-ما يثبت حاجة الدعوات الإصلاحية إلى النساء فهن أرق عاطفة ، وأكثر اندفاعا وأسمح نفسا ، وأطيب قلبا والمرأة إذا آمنت بشئ لم تبال في نشره والدعوة إليه بكل صعوبة وعملت على إقناع زوجها وإخوانها وأبنائها ، ولجهاد المرأة في سبيل الإسلام في عهد رسول الله-صلى الله عليه وسلم ـ صفحات بيضاء مشرقة تؤكد لنا اليوم أن حركة الإصلاح الإسلامي ستظل وئيدة الخطى قليلة الأثر في المجتمع حتى تشترك فيها المرأة ، فتنشئ جيلا من الفتيات على الإيمان والخلق والعفة والطهارة)(٢) ولنتذكر جيدا أن الفضل الكبير في تربية ضغار الصحابة ثم التابعين ومن بعدهم يعود إلى نساء الإسلام (بعدالله) اللّاتي أنشأن هذه الأجيال

---

(١) مصطفى السباعي ـ السيرة النبوية ـ دروس وعبر ص ٥٤ المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٨

هـذه الأجيـال علـى أخـلاق الإسـلام وآدابـه وحـب الإسلام ورسولـه فكانـت أكـرم الأجيـال التـي عرفهـا التأريـخ فـي علـو الهمة واستقامة السيـرة وصـلاح الـديـن والدنيـا (١) وخـديجـة رضي اللـه عنهـا خيـر قـدوة وأسـوة لنسـاء المسلميـن اليـوم والتـي ظـل حبهـا فـي قلبـه بعـد وفاتهـا فدائمـا يذكرهـا وصواحبهـا يعـدن ذكراهـا إليـه-صلى اللـه عليـه وسلم-لما لهـا مـن الفضـل والمنزلـة عنـد اللـه وعنـد رسولـه فتقـول عائشـة رضي اللـه عنهـا -(ما غرت على إمـرأة للنبـي صلى اللـه عليـه وسلم ما غرت على خديجـة هلكت قبلي أن يتزوجني لما كنـت أسمعـه يذكرهـا وأمره اللـه أن يبشرهـا ببيـت مـن قصب ، وإن كـان ليذبـح الشـاة فيهـدى فـي خلائلهـا منهـا مـا يسعهـن (٣) بـل إنـه يذكرهـا حين يـرى أو يسمـع صـوت أختهـا فتقـول عائشـة أيضـا-رضي اللـه عنهـا -(استأذنـت هالـة بنـت خويلـد أخـت خديجـة على رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلـم فعـرف، استئذان خديجـة فارتـاع لـذلك فقـال اللهـم هالـه (٣) قـالت فغـرت فقلـت : ما تذكـر مـن عجـوز مـن عجائـز قريـش حمـراء الشدقيـن هلكـت فـي الدهـر قـد أبدلـك اللـه خيـرا منهـا (٤) وبعـد هـذا يقـول : لاواللـه مـا

---

(١) المصـدر السـابـق ص ٦٨

(٢) محمـد اسماعيـل البخارى ـ الجامـع الصحيح ج٤ ص ٢٣٠ ط المكتبـة الاسلاميـة استانبـول تركيـا .

(٣) وهي هالة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي القرشية الأزدية أخت خديجة بنت خويلد زوج النبي (ص) وهي ام إبي العاص بن الربيع ليس لخديجة أخـت اخرى اسمهاهالة. انظر ابن الأثير ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٦ ص ٢٨٥ دار الفكر .

(٤) محمـد اسماعيـل البخاري ـ الجامـع الصحيح ـ ج٤ ص ٢٣١

أبـدلنـي خيـــرا منهـــا ، آمنت بـــي إذ كفـــر النـــاس ، وصدقتنـي إذ كذبـــني الذـــاس ، وواستنـي بمـــا لهـــا إذ حرمنـــي النـــاس ، ورزقنـــي اللـــه منهـا الولـــد دون غيرهـــا مـــن النســـاء . فرضـــي اللـــه عنهـــا وجزاهـــا اللـــه خيـــر الجـــزاء فقـــد كانـــت صادقـــة الإيمـان ولا ننســـى ذهابهـــا برسول اللـــه صلـــى اللـــه عليه وسلم حيـــن أُخبرهـــا بخبـــر نبوتـــه وابتـــداء كرامتـــه إلى ورقـــة بن نوفـــــل لتقصها باللـــه أنـــه رسـول اللـــه فعلا فورقـــة رجـل تنصر واطلـــع علـى الكتب السماويـــة فهـــي تستشيـــره فـي أمـر زوجهـــا ولا نريـــد أن نستعجـل الأحـــــداث ولنترك الحديـث لورقـــة رحمـــه اللـــه تعالـــى .

ثانيا : ورقة بن نوفل

وإنما جعلته بعد خديجة ـ رضي الله عنها ـ لأنه نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها .

وقد إختلف في إسلامه قال ابن منده (١) وروى في ذلك أحاديث تفيد بإسلامه تصل إلى درجة الحسن نقل ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعضها فقال : قال الإمام أحمد حدثنا حسن عن ابن لهيعة حدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة أن خديجة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل فقال : قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض (٢) قال ابن كثير هذا إسناد حسن ونقل حديث جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة بن نوفل فقال : قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس (٣) وقد أشار الشيخ ناصر الدين الألباني إلى أنه حسن من مجموع الطريقين

---

(١) من الاثير ـ أسد الغابة ح٤ ص ٦٧١

(٢) ورد ذكر هذا الحديث في اسد الغابة لابن الاثير ح٤ ص ٦٧١ وقد عزاه للترمذي وقال انه غريب .

(٣) ابن كثير ـ البداية والنهاية ح٣ ص ٩

بالإضافة إلى إشارته لرواية الحاكم في مستدركه وقوله بأنه صحيح على شرط الشيخين (١) هذه هي دواعي ذكره بعد خديجة رضي الله عنها.

أما عن نصرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقد وردت في الصحيحين وكتب السير والمغازي وهي قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم حين ذهبت به خديجة ياابني فيها جذعا ياابني أكون حيا حين يخرجك قومك وكذلك قوله وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا (٢) وقوله في رواية ابن إسحاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبنه ، ولتؤذينه ، ولتخرجنه ، ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ورقة (من الرجال المعدودين في زمانه وهو الأحق أن يستشار في مثل هذه الأمور كيف لا وله خبرة بالديانات وتاريخها والنبوات وسننها ومعرفة بأهل الكتاب الذين

---

(١) محمد الغزالي فقه السيرة ـ الحاشية ص ١٠٠

(٢) ابن حجر ـ الفتح ج١ ص١٣ ، النووي ـ صحيح مسلم بشرح النووي ح٢ ص ٢٠٦
ابن هشام السيرة النبوية ج١ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ، انظر ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج٢ ص ٣١
انظر بن سيد الناس عيون الأثر ح١ ص ٨٥

عندهم أخبار الأنبياء وعلمهم (١) لذا نلاحظ من كلامه لرسول الله أنه إخبارٌ وتوقعات لما قد يحصل في مستقبل أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من التكذيب والإخراج والمقاتلة فيتهتجب المصطفى صلى الله عليه وسلم من أخبار الصراع بقوله أو مخرجي هم .

كيف لايعجب ويتباعد وقوع مثل هذه الأشياء من قومه وهو طيلة الأربعين سنة الماضية يلقب بالأمين وبالصادق ولم يجرب عليه الكذب طيلة حياته أبدا فيقول له ورقة مهدئا للوضع لم يأتي رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ولقد صدق ورقة فلم يُعلم أن أحدا جاء بمثل ما جاء به رسول الله إلاعودي وكُذب حتى الدعاة إلى الله اليوم عودوا وكذبوا وسجنوا وبعضهم قتل واتهموا بالخيانة والرغبة في الرئاسة إلى غير ذلك من التهم ، فتلك سنة الله سبحانه في الذين خلوا من قبلنا (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا (٢) والله سبحانه يأمرنا أن ننظر في سير الماضين والأولين لنعتبر ونفهم الدروس العملية.

---

(١) ابو الحسن الندوي ـ السيرة النبوية ـ ص ٨٥ ح١ دار الشروق جدة ١٣٩٧

(٢) سورة فاطر آية ٤٣

(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (١) يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم (٢) فمعرفة سنن الله في الكون عامة وفي الدعاة خاصة تنير الطريق للداعية ويجعله يستقبل الأمور وهو في حالته الطبيعية فرسول الله الله صلى الله عليه وسلم حين يعلم بما سيصيبه أولى وأحسن لو كانت هذه الأمور أصابته فجأة ومن هنا فتبين نصرة ورقة وأثرها على الدعوة والداعية (كما أن في ذهابه لورقة بن نوفل واستفساره خديجة لهذه الأمور التي رآها ولم يكن رآها من قبل دليل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن ليستشرف للنبوة ولا يحلم بها (٣)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٧

(٢) سورة النساء آية ٢٦

(٣) د. الباعي - السيرة النبوية - ص ٤٩

ثالثا : أبـو بكـر الصـديـق ـ رضـي الله عنـه ـ

لقـد كان لأبـي بكـر الصديـق ـ رضـي اللـه عنـه ـ أثـر إيجـابـي في نصـرة محمـد بن عبـدالله ونصـرة دعـوتـه فكـان إسلامـه ميسـور ا سهـلا سريعـا يقـول رسـول اللـه اللـه صلى اللـه عليه وسلم ما دعـوت أحـدا إلـى الإسـلام إلا كـانـت عنـده كبـوة وتـردد ونظـر ، إلا أبابكـر ما عكـم عنـه حيـن ذكرتـه ومـا تردد فيه (١)

فقـد كـان رجـلا مـألفـا لقـومـه محبا سهـلا ، وكـان أنسـب قريـش لقـريـش ، وأعلـم قريـش بمـا كـان فيهـا مـن خيـر وشـر ، وكـان رجـلا تاجـرا ذا خلـق ومعـروف ، وكـان رجـال قومـه يأتونـه ويألفونـه لغيـر واحـد مـن الأمـر ، لعلمـه وتجارتـه وحسـن مجالستـه (٢) وقـد كانـت لهـذه الصفات والاخـلاق أثـر علـى الدعـوة حيـث أسلـم علـى يديـه أفـذاذ الصحابـة وعظمـاء القاعـدة الصلبـة ... الزبيـر بـن العـوام ، عثمـان بـن عفـان ، طلحـة بـن عبيـدالله ، وسعـد بـن أبـي وقـاص ، عبـدالرحمـن بن عـوف ـ رضي الله عنهم أجمعيـن (٣)

---

(١) ابـن كثيـر البدايـة والنهايـة ج٣ ص ٢٧

(٢) المصـدر السابـق ص ٢٩

(٣) المصدر السابق

ولقد بلغ حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حبا شديدا فتقول عائشة ابنته (لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - وكانوا ثمانية وثمانين رجلا ألح أبوبكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور فقال : يا أبا بكر إنا قليل فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضربا شديدا ووطئ أبو بكر وضرب ضربا شديدا ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين لوجهه ، ونزل على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه وجاء بنو تميم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ثم رجعت بنو تميم وقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبابكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فهموا منه بألسنتهم وعذلوه ، ثم

قامـوا وقـالوا لأمـه أم الخيـر انظـري أن تطعميـه شيئـا أو تسقيـه إيـاه ، فلمـا خلـت بـه الحـت عليـه وجعـل يقـول : مـا فعـل رسـول اللـه-صلى اللـه عليـه وسلـم-؟ فقالـت مـالـي علـم بصاحبـك . فقـال اذهبـي إلـى أم جميـل بنـت الخطـاب فاسأليهـا عنـه فخرجـت حتـى جـاءت أم جميـل فقالـت إن أبابكـر يسألـك عـن محمـد بـن عبـدالله فقـالـت مـا أعـرف أبابكـر ولا محمـد بن عبـدالله ، وإن كنـت تحبيـن أن اذهـب معـك إلـى إبنـك قـالـت نعـم ،فخـرجـت معهـا حتـى وجـدت أبابكـر صريعـا دنفـا فدنـت أم جميـل واعلنـت بالصيـاح وقالت واللـه إن قـومـا قالـوا هـذا منـك لأهـل فسـق وكفـر وإنـي لأرجـوا أن ينتقـم اللـه لـك منهـم . قـال فمـا فعـل رسـول اللـه-صلى اللـه عليـه وسلـم-؟ قـالـت هـذه أمـك تسمـع ، قـال فـلا شـيء عليك منهـا قـالـت : سالـم صالـح . قـال أيـن هـو ؟ قـالـت فـي دار ابن الأرقـم قـال فإن للـه علـى أن لا أذوق طعامـا ولا أشـرب شرابـا أو آتـي رسـول اللـه-صلـى عليـه وسلـم-، فأمهلنـا حتـى إذا هـدأت الرجـل وسكـن النـاس خرجنـا بـه يتكـئ عليهما حتـى أدخلنـاه على رسـول اللـه-صلى الله عليه وسلم- فـأكـب عليـه رسـول اللـه-صلى الله عليه وسلم-فقبلـه ، وأكـب عليـه المسلمـون ورق لـه رسـول اللـه-صلى اللـه عليـه وسلم-رقـة شديـدة فقـال

ابو بكر بأبي أنت وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي(١) فهذه الحادثة فيض من غيض من الحوادث الكثيرة التي مُنِيَ حبه لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-ونصرته له،إنه ومنذ لحظات إسلامه الأولى يخاف على رسول الله خوفا شديدا لأنه مصدر الدعوة وجاءت بواسطته تحيني يُعتدى على رسول الله صلى عليه وسلم تجده يبكي بكاءً شديدا فيروى ابن هشام في السيرة عن عبدالله بن عمرو أنه حين(طلع عليهم رسول الله صلى الليه عليه وسلم فوثبوا إليه/وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون أنت تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم فيقول رسول الله-صلى الله عليه وسلم - نعم أنا الذى أقول ذلك قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه قال فقام أبو بكر -رضي الله عنه - دونه وهو يبكي ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه(٢) إن هذا الرجل رقيق سريع البكاء من خشية الله عز وجل، إن بكاءه هذا خوفا على رسول الله وخوفا على دعوة رسول الله، رضي الله عنه وأرضاه فما أحوج الدعوة اليوم إلى أمثاله يفدون الدعوة بأنفسهم وبأموالهم وبكل ما يملكون في

---

(١) راجع ابن كثير البداية والنهاية ج٣ ص ٣٠

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية ج١ ص ٢١٠

سبيل الله عز وجل . ونصرة أخرى يسجلها له التأريخ بمداد من نوروأيامه كلها نصرة تلك التي كانت في هجرة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة من حين بدأت إلى أن وصل المدينة برعاية الله وحفظه وذلك أنه استأذن في الخروج إلى المدينة .

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا (١) فطمع أن يكون ذلك الصاحب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لقد عظم ذلك الظن في نفسه فذهب وابتاع راحلتين فاحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك (٢) وفعلاً صدق ظنه وتحقق ذلك الأمر فبكى من شدة فرحه بتحققه،تقول السيدة عائشة ..ه رضي الله عنها(كان لايخطئ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذى أُذن فيه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بالهاجرة في ساعة لايأتي فيها قالت : فلما

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية ج٢ ص ١٣٨ ، سكتبة السيرة النبوية ص ٢٢٩ .
ابن سيد الناس عيون الأثر جـ ١ / ١٨٢
(٢) محمد ابوزهره - خاتم النبيين جـ ١ ص ٥١٥

رآه ابو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند أبي بكر إلا انا واختي أسماء بنت أبي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عني من عندك ، فقال يارسول الله إنما هما بنتاي ، وما ذاك فداك أبي وأمي : فقال إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة قالت فقال أبوبكر الصحبة يارسول الله ، قال الصحبة ، قالت فو الله ما شعرت قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبابكر يومئذ ، ثم قال يانبي الله إن هاتين راحلتين قد أعددتها لهذا (١) فهو هنا يبكي أيضا لكن بكاءه هذه المرة من الفرح يفرح لأن يكون صاحبا لخير خلق الله وأفضل رسوله في رحلته الشاقة يريد أن يتلذذ بخدمته فينطلقان سويا ويصلان الغار ليلا فيدخل أبو بكر قبل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الغار الموحش يتلمس وينظر (أ فيه سبع أو حية يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه) (٢)

---

(١) ابن هشام السرة النبوية ح٢ ص ١٢٩

- كثير السيرة النبوية ح٢ ص ٢٢٣ / نظر كذلك محمد ابو زهرة خاتم النبيين ص ٥١٦

(٢) ابن كثير البداية والنهاية ح٣ ص ١٧٩ / بهجت ٢ - السيرة النبوية ح ، ص ١٣٠

بل روى أنه لما خرجا (جعل أبو بكر يكون أمام النبي صلى الله عليه وسلم مرة وخلفه مرة ، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتي من أمامك وإذا كنت أمامك خشيت/أن تؤتي من خلفك)(١) ويقول عمر رضي الله عنه (لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة من خلفه حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مالك ياأبابكر تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي ، فقال يارسول الله اذكر الطلب فأمشي خلفك ثم اذكر الرحمن فأمشي بين يديك فقال ياأبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني ؟ قال نعم والذي بعثك بالحق)(١) ثم يقول عمر رضي الله عنه معترفا بجميل صنع أبي بكر وفضله (والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر)(١) فما أروع تلك اللحظات مع الرسول صلى الله عليه وسلم والتي يسجلها القرآن الكريم (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذهما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا

---

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج٣ ص ١٨٠

والله عزيز حكيم (١) وفي الطريق إلى المدينة نجد التأريخ قد سجل له هذه المواقف البطولية فيقول (خرجنا فأولجنا فأ حثثنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فضربت بصري هل أرى ظلا نأوى إليه ـ فإذا أنا بصخرة فأ هويت إليها ـ فإذا بقية ظلها فسويته لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروة وقلت له اضطجع يارسول الله فاضطجع ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب ـ فإذا أنا براعي غنم فقلت له:لمن أنت يا غلام ؟ فقال: لرجل من قريش ، فسماه فعرفته . فقلت:هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم ؟ قلت:هل أنت حالب لي ؟ قال:نعم فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومعي أداوة على فمها خرقة فحلب لي كثبة من اللبن فصببت على القدح حتى برد أسفله ، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته وقد استيقظ ، فقلت اشرب يارسول الله فشرب حتى رضيت ، ثم قلت هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا

---

(١) سورة التوبة آية ٤٠

فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت: يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا؟ قال: لا تحزن إن الله معنا، حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو قال رمحين أو ثلاثة ، قلت يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا؟ ويكيت قال لم تبكي ؟ فقلت أماوالله ما على نفسي أبكي ، ولكن أبكي عليك فدعا عليه رسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها) (١) وبهذا نلحظ شدة خوفه ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل إلى درجة البكاء وذلك حينما كانا في الغار وحينما ادركها سراقة ـ كما سبق ـ (وفي هذا الخوف مثل لما ينبغي أن يكون عليه جندي الدعوة الصادق مع قائده الأمين حين يحدق به الخطر من خوف وإشفاق على حياته فما كان أبو بكر ساعتئذ بالذي يخشى على نفسه من الموت ، ولو كان كذلك لما رافق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الهجرة الخطيرة وهو يعلم أن أقل أجزائه القتل إن امسكه المشركون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه كان يخشى على حياة الرسول الكريم

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ج٣ ص ١٨٨

وعلى مستقبل الإسلام إن وقع الرسول صلى الله عليه وسلم في قبضة المشركين(١) وهكذا ينبغي للداعية أن يكون فيجب عليه الصدق والوفاء الصدق مع الله ، ومع الخلق والوفاء بما التزم عليه من عهود ومواثيق (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) (٢) فأبو بكر هو خير قدوة لجنود الدعوة في عصرها الحاضر. فقد كان الصاحب الصادق بل والمضحي بروحه وكل ما يملك من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم- ولقد رأينا كيف أبى إلا أن يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم - في دخول الغار كي يجعل نفسه فداء له عليه الصلاة والسلام فيما إذا كان فيه سبع أو حية أو أي مكروه ينال الإنسان منه الأذى ، ورأينا كيف جند أمواله وابنه وابنتيه ومولاه وراعي أغنامه في سبيل خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة الشاقة الطويلة (٣) فالدعوة متى فُقِد في رجالها أمثال هؤلاء فإنها ستكون قليلة الأثر على التأثير على الناس ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها والصحابة رضوان الله عليهم

---

(١) د/السباعي - السيرة النبوية ص ٧٠

(٢) سورة المائدة آية ١.

(٣) د/ محمد سعيد رمضان البوطي - فقه السيرة ص ١٨٤ - دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٠٠ هـ

كانوا منارات هدى ومشعل هداية ربانية تضيء للسالكين في طريق الدعوة منهجا عليه يوصلهم إلى هدفهم المنشود تجد منهم الصدق والوفاء والحب والاخلاص والتضحية بالغالي والنفيس ، الخوف الشديد الذى يصاحبه عمل على مستقبل الدعوة والدعاة خوفا يدفعهم إلى الحرص والجد والعمل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لايؤمن أحدكم حتى أكون أحبه إليه من ولده ووالده والناس أجمعين (١) ومعنى هذا الحديث : أى لايحصل له الإيمان الذي تبرأ به ذمته ، ويستحق به دخول الجنة بلا عذاب حتى يكون الرسول أحب اليه من أهله وولده ووالده والناس أجمعين ، بل لايحصل له ذلك حتى يكون الرسول أحب اليه من نفسه أيضا ، فمن لم يكن كذلك فهو من أصحاب الكبائر ، إذا لم يكن كافرا . (٢)

---

(١) متفق عليه من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أنظر ابن حجر التح ج١ ص٥٨ باب حب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الإيمان ، واذظر النووي ـ صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ـ ص ١٥ باب وجوب محبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم اكثر من الأهل والولد .... الخ

(٢) سليمان ابن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ـ ص ٤١٦ ـ نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والاشاد المملكة العربية السعودية .

رابعـــا : النجـاشـــــــي

وهـــو ملـــك الحبشـــة شجـــع رسـول اللـــه ـ صلـى اللـه عليـه وسلـم أصحابـه بالهجـرة إلـى بـلاده وأفـاد أن هـــذا الملـك لايظلـم عنـــده أحـــد بعـــــــد أن اشتـــذ الأذى علـى المسلميـــن فقـــال (لـو خرجتـم إلـى أرض الحبشـة ، فـــإن بهـا ملكـا لايظلـم عنـــده أحـــد ، وهـي أرض صـــــدق حتـى يجعـــل اللـه لكـم خرجـا ممـا أنتـم فيـه . فخـرج عنـد ذلـك المسلمـون مـن أصحـاب رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسلـم إلـى أرض الحبشـة مخافـة الفتنـة ، وفـرارا إلـى اللـه بدينهـم ، فكانـت أول هجـرة كانـت فـي الإسـلام) (١) وكـانـــــت الهجـرة مرتيـن كانـت المـرة الأولـى فـي رجـب في السنـة الخامسـة مـن الهجـرة وكانـوا اثني عشـر رجـلا وأربـع نسـوة يرأسهـم عثمـان بـن عفـان ومعـه زوجـه رقيـة بنـت رسـول اللـه-صلـى اللـه عليـه وسلـم- وحـاول المشركـون اللحـاق بهـم لكـن اللـه نجاهـم اذ قيـض لهـم سفينتيـن كانـتـا متجهتيـن إلـى الحبشـة فركبـوا فيهـا ، فجلسـوا هنالـك مـا شـاء اللـه أن يجلسـوا ثـم وصلتهـم أخبـارٌ بأن قريشـاً أسلمـت وأنهـم سجـدوا للـه فرجعـوا مـن الحبشـة قائليـن لمـاذالانـذهـب إلـى بـلادنـا فإن هنـــاك أرخـى لنـا وقـد دخلـوا فـي الديـن جـاءوابهـذه الصـورة فلمـا اقتربـوا

---

(١) ابن هشـام السيـرة النبويـة ج١ ص ٣٤٤

من مكة عرفوا حقيقة الخبر وأن الكفار فعلا سجدوا لكن لم تكن تلك السجدة لله عن إيمان وإخلاص ويقين، إنما سجدوا لروعة القرآن، جذبهم للسجود من حيث لايشعرون ، وعرفوا حقيقة الأمر وأن قريشا ما زالت مصرة على كفرها وعنادها فرجع بعضهم ومن دخل منهم مكة دخلها بجوار (ثم اشتد الأذى على المسلمين وسطت بهم عشائرهم فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى وكانت هذه الهجرة أشق من سابقتها فقد تيقظت لها قريش وقروا إحباطها بيد أن المسلمين كانوا أسرع فيسر الله لهم السفن فانحازوا إلى أرض الحبشة قبل ان يُدركوا (١) .

وكما قلت كان سبب خروجهم في هذه المرة أيضا هو اشتداد الأذى عليهم ولكن طغاة قريش لم يتركوهم يمضون هكذا بل بعثوا رجلين من قريش جلديين إلى النجاشي ، فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ، ويخرجوهم من دارهم التي أطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبدالله بن ربيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل

---

(١) المباركفوري ـ الرحيق المختوم ـ ص ١٠٧ ـ طدار الوفاء للطباعة والنشر

وجمعوا لهما الهدايا للنجاشي ولبطارقته (١) فيلاحظ من هذين السفيرين أنهما جلدان ويكفي عمرو بن العاص داهية العرب والمحنك السياسي ، ثم إنهما لم يذهبا مجردين بل ذهبا بالهدايا لتقديمها للنجاشي وللبطارقة الذين يجلسون حول النجاشي والكل يعلم ما تفعل الهدايا حيال مثل هذه القضايا وخاصة من لم يعمر قلبه الإيمان ، ضعاف النفوس قليلي الإيمان ، ومهمة هذا الوفد هو استرداد المسلمين المهاجرين في أرض الحبشة إلى مكة لتعذيبهم هناك ، وقد بذل هذان الرجلان جميع المجاولات في انجاز هذه المهمة فقد قدما لكل بطريق هديته وكلماه في شأن المسلمين بقولهم (إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في ديننا وجاءوا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنتم ، فإذا كلمنا الملك فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما : نعم)(٢) فهم إذا مهدوا للقاء الملك (التمهيد القائم على رشوة البطارقة) (٣) وألمح أن هرقل يعتقد

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية ح١ ص ٣٤٤

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية ح١ ص ٣٥٨

(٣) محمد ابو زهرة ـ خاتم النبيين ح١ ص ٤١٠

أنهم على الحق وأنهم سيُهزمون حين يعرف الملك حقيقة أمرهم وذلك من قولهما السابق. ولا يكلمهم فهو إذاً تصنيم إعلامي للحقائق الناصعة ، وهذا هو سلاح العدو الأخير يرى الحق واضحاً ولكنه وهي السياسة المتبعة في عالمنا المعاصر من التعتيم الإعلامي لحقائق الإسلام والجهود المسلمين ونواياهم ليحولوا بدلك بين الناس وبين الإسلام فهل ياترى هل ينجح هذا الوفد في مهمته ويرد المسلمين مع تنفيذ الخطة بكاملها محكمة من غير نقص وقدموا الهدايا للملك فهل تؤثر عليه هذه الهدية ويتغير حكمه لن نستعجل النتائج فالحقائق التاريخية هي التي تبين لنا النتائج في ذلك مع التذكر أن هذا الملك عادل لايُظلم عنده أحد وكفى. فدخلوا على الملك بعد قبوله لهداياهم فقالا: أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن ولا أنت ولقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عينا ، واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه (١) وهنا تحرك الهدايا النفاق في البطارقة وتحرض النجاشي على إسلام المسلمين لعمرو وصاحبه . حيث قالوا.

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ ج١ ـ ص ٣٥٨

(لقد صدقنا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم)(١) فهل ياترى يستجيب الملك لهذا الطلب من البطارقة ، إننا لانظن ذلك لأنه ملك عادل أخبر عنه الصادق المصدوق بأنه لايظلم عنده أحد (٢) فلقد صدق ظن رسول الله فيه فلم يسمع كلام أصحاب الهدايا والرشوة ولم يسمع من البطانة السيئة التي أشارت عليه بتسليمهم إليهما بل إنه (أحس بالحملة الباطلة فرد الكيد ردا حاسما) (٣) بالحكمة وعين العدل حيث قال (لاأسلمهم ، ولا يكاد قوم جاورني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاورني)(٤) فلقد فسح المجال للمسلمين أن يبينوا دينهم وحال دون التعتيم الإعلامي الذي رأى الوفد الجاهلي أنه سبيله للخلاص إلى هدفه

---

(١) بن هشام ـ السيرة النبوية ح١ ـ ص ٣٥٩ انظر بن الاثير الكامل في التاريخ ـ ح٢ ـ ص٥٤

(٢) انظر المصادر السابق ، عيون الاثر ـ ح١ ـ ص ١٠٥

(٣) محمد ابوزهرة ـ خاتم النبيين ح١ ـ ص ٤١١

(٤) بن هشام ـ السيرة النبوية ح١ ـ ص٣٤٩ بن كثير السيرة النبوية ح٢ ـ ص ٢١ ابن الاثير ح٢ ـ ص ٥٤ ، بن سيد الناس ـ عيون الأثر ح١ ـ ص ١٠٥

وفي هذا فقط أكبر نصرة منه للمسلمين وللاسلام لأنه واضح لكل ذي بصيرة وعقل فوالله لوترك المجال لهؤلاء أن يظهر أمام الناس على حقائقه التي نزل بها لرأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا وخاصة من عامة الناس، والبشرية اليوم هنا وهناك تلتهم جوعا لدين يُصلح لها أحوالها وإن الأعداء ينفقون أموالهم بسخاء لإخفاء حقائق الإسلام وإظهاره في صورة مشوهة غير واضحة يتولى كبر ذلك بعض وسائل الإعلام بكل أنواعها والمستشرقون الذين يُدعمون من قبل الحكومات والمؤسسات ، فالنجاشي اذا بعمله هذا يكون قدم نصرة للإسلام وللمسلمين هناك ولم يكتف بهذا بل بعد ما سمع من جعفر المتحدث باسم المسلمين هناك بكى وتأثر حتى إخضلت لحيته وقال ((إن الذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة (١) كما رد على الوفد الجاهلي بقوله انطلقا فلا والله لاأسلمهم إليكما ولا يكادون (٢) صدم الوفد الجاهلي صدمة قوية عنيفة صفعت وجوههم ، لكنهما أعادا الكرة ثانية ويشرأن الوفد على مستوى ما كلف به من الدهاء والذكاء حيث قال عمرو لصاحبه ((والله لآتينه غدا بما

---

(١) انظر ابن هشام ـ السيرة النبوية ج١ ـ ص ٣٦١ ، ابن كثير ـ السيرة النبوية ج٢ ص ٢٢ ، محمد ثير ـ الكامل في التاريخ ج٢ ص ٥٥ .

(٢) المصدر السابق

استأصل به خضراءهم)(١) فكان صاحبه ارق عاطفة على المسلمين فقال (لا تفعل فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا قال عمرو والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد)(٢) وفعلاً كرم عمرو على نتفيذ ما قال وجاء للملك من الغد فقال : (أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه)(٣) ولاشك أن هذه من المحن التي ابتلى بها المسلمون حيث ارتج عليهم ووقعوا في إحراج عظيم فتصور ذلك أم سلمة .

هذه الحالة يقولها ((ولم ينزل بنا مثلها قط)) (٤) فاجتمع المسلمون يتداولون رأيهم ماذا عساهم ان يجيبوا على هدا السؤال فلم تكن حصيلة الأراء الاالقول بما جاء به رسول الله كائن في ذلك ما هو كائن فقال جعفر للملك ((هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول)) (٥)

---

(١)/(٢)/(٣)/(٤)/(٥) / السيرة النبوية ج ١ ص ٢٦١

فكانت نتيجة الصدق النجاة كما هو معروف ومقررفي دين الله . حيث (ضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عودا ثم قال والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود)(١) فتناخرت البطارقة وأظهروا غضبهم وعدم ارتياحهم لهذا القرار فقال لهم ((وإن نخرتم والله)) (٢) فانصرف الوفد الجاهلي خاسئا خائبا لم يحصل على شيء فرد عليهما هداياهما ثم التفت إلى أصحاب رسول الله وقال لهم ((اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم الآمنون - من سبكم غرم)) (٣)

فعاش المسلمون عنده في أمان كما تقول أم سلمه رضي الله عنها ((وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار)) (٣) وهي التي تقول ((فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة)) (٤) والنجاشي وهو يقدم هذا الجهد المشكور للمسلمين نجد أنه يستمر في نصرته لهم وهو في أخطر المواقف الحرجة فيروي ابن اسحاق أن الحبشة اجتمعت فقالت له:

(١ ، ٢ ، ٣) المصدر السابق

(٤ ، ٥) المصدر السابق

((إنـك فارقت ديننا ، وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وان ظفرت فاثبتوا)) (١)

فهو هنا يخشى أن تتغلب عليه الحبشة فيؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله نصرة عليهم وثبت مكانه ورضوا به ملكا عليهم ، وكان ناصرا للمسلمين خاذلا لاعداء الله أعداء الدين فأخفقت حيلة المشركين وعرفوا أن أمر هذا الدين بسير في خطواته الوئيدة؛ خطأ طبيعية فقرروا كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دعوته وإلا فبإعدامه ولكن كيف السبيل إلى ذلك وأبو طالب يحوطه ويحول بينه وبينهم)) (٢) بل إن الإسلام قد عز وأعزه الله خاصة بدخول رجلين مهمين عند قريش هما حمزة بن عبدالمطلب أسدالله وأسد رسوله، وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - .

---

(١) المصدر السابق
(٢) انظر صفي الرحمن المباكفوري - الرحيق المختوم - ص ١١١
(٣)

خامسا : حمزة بن عبدالمطلب

تتبين نصرة حمزة ـ رضي الله عنه ـ من قصة إسلامه فقد روى أن أباجهل مر برسول الله-صلى الله عليه وسلم ـ عند الصفا فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله-صلى الله عليه وسلم ـ ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة في مسكن لها فسمع ذلك ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبدالمطلب ـ رضي الله عنه ـ متوشحا سيفه راجعا من قنص له ، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم وكان أعز فتى في قريش وأشد شكيمة ، فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم إلى بيته ،قالت له ، ياأبا عمارة ،، لو رأيت مالقي بن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام وجده ههنا فأذاه وسبه وبلغ منه مايكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد-صلى الله عليه وسلم- فلقد أثر كلام هذه المولاة على حمزة حيث خرج يسعى ولم يقف

علـى أحـد معـدا لأبـي جهـل إذا لقيـه ان يوقـع بـه ،(فلمـا دخـل المسجـد نظـر إليـه جالسـا فـي القـوم فأقبـل نحـوه، حتـى إذا قـام علـى رأسـه رفـع القـوس فضربـه بهـا فشجـه شجـة منكـرة ثـم قـال : تشتمـه وأنـا علـى دينـه أقـول مـا يقـول ، فـرد ذلـك علـيّ ان استطعـت ، فقامـت رجـال مـن بنـي مخـزوم إلـى حمـزة لينصـروا أبا جهـل فقـال أبـوجهـل دعـوا أبا عمـارة فإنـي واللـه قـد سببـت ابـن أخيـه سبـا قبيحـا .

فلمـا أسلـم حمـزة عرفـت قريـش ان رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسلـم قـد عـز وامتنـع وان حمـزة سيمنعـه فكفـوا عـن بعـض مـا ينالـون منـه) (١) .

وبعـد تـردد جـال فـي خـاطـره بعـدهـده الكلمـات (مضـى حمـزة فـي طريـق الإيمـان والـذود عـن الـدعـوة حتـى بلـغ مقامـات لـم يبلغـه غيـره من المسلميـن ، فهـو سيـدُا لشهـداء بشهـادة سيـد الخلـق صلـى اللـه عليـه وسلـم ، وهـو أسـد اللـه ، وأسـد رسـولـه ـ صلـى اللـه عليـه وسلـم كـان إسلامـه عـزا للمسلميـن ، ومنعـة وقـوة للنبـي صلـى اللـه عليـه وسلـم أخـذت بـه قريـش فأصابهـا المقعـد ، وشَرِقَـت بإسـلامـه وكـان شجـا

---

(١) انظـر سيرة ابن هشام ـ السيرة النبوية جـ ١ ـ صـ ٢١٧ ، ٢١٨ ـ سيد الناس عيون الأثر جـ ١ صـ ١٠٥

فـــي حلاقيمهـــا ، وأذل كبـــريائهـــا وقتـــل كبراءهـــا ، وظهـرت بـــه الدعوة بعـــد استخفائهـــا ، وأعلنـــت بصوتـــه كلمـــة الحـــق بعـــد استتارهـــا ، وجهـر بالتكبيـــر للـــه تعالـــى علـــى سمـــع طغـاة الشـــرك فأراهـــم حقـــارة عقولهـــم فـــي حقـــارة معبـــوداتهـــم ، وأراهـــم عـزة الحـق وانتصـــاره)) (١) فأعـــز اللـه بـــه الإســـلام كمـــا أعـــزه بعمـــر بن الخطـــاب ـ رضـــي اللـــه عنـــه فقـــوى المسلمـــون بهمـــا ، وعلمـــت قريـــش أنهـا سيمنعـــان رســـول اللـــه -صلـى اللـــه عليه وسلم- والمسلميـــن .

---

(١) محمـــد الصادق عرجـــون ـ محمـــد رســـول اللـــه ـ ح١ ص٦٠٩

(٤٥)

سادسا : عمر بن الخطاب

لم يكن بين إسلام عمر وإسلام حمزة ـ رضي الله عنه ـ سوى ثلاثة (١) أيام فكان من المستهزئين بالإسلام وكان معروفا بحدة الطبع ، وقوة الشكيمة (٢) ولعل هذا هو المفهوم السائد لدى عموم المسلمين عن عمر بن الخطاب قبيل إسلامه فتذكر أم عبدالله بنت أبي خثمة فتقول:((إنا لنرحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر لبعض حاجته إذ اقبل عمر وهو على شركه حتى وقف عليّ وكنا نلقى منه البلاء أذى وشدة فقال اتنطلقون ياأم عبدالله قالت قلت : نعم والله لنخرجن في أرض الله . فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا ،،قالت:فقال: صحبكم الله . ورأيت له رقة وحزنا ، قالت :فلما عاد عامر أخبرته وقلت له : لو رأيت عمر رقته وحزنه علينا . قال: أطمعت في إسلامه قلت نعم فقال: لايسلم حتى يسلم حمار الخطاب)) (٣) قال ذلك لما يرى من شدته وغلظته على المسلمين ولعل مابين شدته وغلظته آخر مغامراته التي كانت سببا في إسلامه ، حيث أخذ سيفه وخرج يريد قتل النبي محمدصلى الله عليه وسلم- فيلقاه أحد المسلمين

---

(١) محمد أحمد الذهبي ـ السيرة النبوية ص ١٠٧ ط دار الكتب العلمية تحقيق حسام الدين المقدسي ١٤٠٣ ـــ ١٩٨٣ م

(٢) محمد الغزالي فقه السيرة ـ ص ١٢٢

(٣) ابن الأثير الجزري الكامل في التاريخ ج٢ ص ٥٧ وانظر ابن كثير في البداية والنهاية ج٣ ـ ص ٧٩ ، والذهبي السيرة النبوية ص١٠٩

فيصرفه عن ذلك إلى داره ويخبره أن الإسلام دخل في بيته وأن أخته قد اسلمت مع زوجها فذهب إليهما حتى كانت نهاية المشهد هو استسلامه للدين الحق (١) فكانت بداية (حمية جاهلية وعزيمة جاحده لمنطق العقل ، مغرورة بتعبدها للوثنية ، تناصر الشيطان وتكفر بالرحمن وكان السيف فيها هو صاحب الكلمة الفاصلة الناطق بحجتها ، غاب فيها العقل عن منصته في الحكم على المدارك وأظلم فيها القلب ، فلم يشرق في أفقه شعاع من نور الحق

أما نهاية عمر في حركته إلى دار الإسلام ومعهده ، التي كتب الله سطورها في سجل الخلود بمداد من النور ، فكانت هدى ورحمة وعزا ونصرا ، وفتحا مبينا ، وإيمانا راسخا بشعار الإسلام وعنوانه جهيراً فما أبعد مابين البداية والنهاية ولكنها المقادير تظهرها المنايا)) (٢) . لقد عمر عمر مددا عظيما لجند الله فازداد المسلمون به متعة ، ووقعت في نفوس الكافرين منه حسرة لقد عاش في الإسلام مهابا حتى من الشيطان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) راجع نص اسلامه في المراجع السابقة

(٢) محمد الصادق عرجون ـ محمد رسول الله ج١ ص ٦١٠

((والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك (١) ويقول بن مسعود رضي الله عنه ((ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)) (٢) كما قال أيضا في عمر : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرا ، وإن إمارته كانت رحمة ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أُسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه)) (٣) وإن كنت هنا اختم بهذه الكلمات نصرة عمر فلا يعني هذا عدم وجود مواقف اخرى من النصرة فحياته كلها نصرة كما كانت حياة أصحابه رضوان الله عليهم ولكن أردت الإختصار والإشارة إلى بعض المواقف فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا .

---

(٣) ابن كثير - البداية والنهاية ج ٢ ص ٦٧ .

(١) النووي - صحيح مسلم بشرح النووي خ١٥ - ص ١٦٥ .

(٢) البخاري - الجامع الصحيح ج٤ - ص ٢٤٢ .

المبحث الثاني

جهود غير المسلمين

وكما كان للمسلمين جهود في الإيواء والنصرة ، فإن الله سبحانه وتعالى قد سخر بعض الناس غير المؤمنين به لإيواء ونصرة محمد صلى الله عليه وسلم ولعل أعظمهم في ذلك هو عمه أبو طالب فليكن حديثنا في بداية هذا المبحث عن هذا الرجل ، ثم نتبعه بالحديث عن بعض الكفار الذين حملت منهم نصرة للداعية والدعوة

أولاً: أبو طالب

لقد عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم الأب والأم حيث فقد أباه قبل خروجه من بطن أمه وكذلك ما تت أمه وهو طفل صغير فحينذاك كفله جده عبدالمطلب ومالبث ان هلك جده بعد موت أمه بمدة وجيزة ، ثم تولى كفالته عمه أبو طالب بتوصية من عبدالمطلب كما أنه أقرب قرابة محمد صلى الله عليه وسلم إليه ، لأنه أخو عبدالله أبي محمد صلى الله عليه وسلم لأمه وأبيه وهو ألصقهم به وألزمهم له ، وأعرفهم بمدخله ومخرجه ، فكان أعظمهم قياما دونه والذود

عنه ، وأصدقهم عزيمة في التضحية من أجله ، وأقواهم شكيمة في الوقوف إلى جانبه)) (١) .

لقد ألقى الله حب رسول الله في قلب أبي طالب فكان يحبه أكثر من بنيه فأخذه مرافقا له في بعض تجارته للشام وهناك التقى براهب نصراني فلمح فيه الراهب علامات النبوة فأوصاه به خيرا .

وجرت الأيام تطوي حاملة معها مقادير الله سبحانه وتعالى حتى بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا إلى الناس كافة فلم يكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذا الدين الجديد ـ بيد أن ابن عمه الذي عاش عنده ... وهو علي بن أبي طالب ـ وكان لم يتجاوز العاشرة من عمره آمن به وصدقه فكانا يصليان سويا فرآهما أبو طالب فقال ماهذا يابن أخي فقال إن الله أرسلني إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وأخبره أن هذه الصلاة أمره الله بها فعندها قال أبو طالب ((أي ابن أخي إني لاأستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله

---

(١) محمد الصادق عرجون ـ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ط١ ص ٦٠٢

لايخلص اليك بشيء تكرهه ما بقيت (١) فهو هنا يتوقع معاداة القوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه يبدي إستعداده للنصرة والمنعة من أن يصاب ابن أخيه بأذى أو مكروه ، ثم قال لابنه علي ((أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه)) (٢)

استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى دين الله لم يلق عنتا ولا عيبا من قومه حيث كانت الدعوة سرا مقتصرة على من يثق فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إن الله أمره بالجهر بالدعوة بادئا بعشيرته الأقربين مبينا أن عبادة الأصنام ضلال وشرك لايجوز الإستمرار عليه ((فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته إلا من عظم الله تعالى منهم بالإسلام . وهم قليل مستخفون ، وحدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه ابوطالب ومنعه وقام دونه ، ومضى

---

(١) بن هشام ـ السيرة النبوية ـ ج١ ـ ص ٢٦٤ ، انظر ابن الإثير ـ الكامل في التاريخ ج٢ ص ٢٨ ـ ابن سيد الناس ـ عيون الأثر ج١ ص ١٠٠

(٢) المصدر السابق .

رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهرا لأمره لايصرده عنه شيء)) (١) فلما رأت قريش ماصنع أبو طالب بابن أخيه وأنه يمنعه ويقوم دونه ، بل إنه لن يسلمه لهم وسيعادى من عاداه اجتمع رجال من اشرافهم ، ثم ذهبوا إلى أبي طالب فقالوا: ((يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا ، وإما ان تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافة تكفيكه ، فقال لهم أبو طالب قولا رقيقا ، وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه)(٢)

وقريش تحترم أبا طالب فهو عندهم معظم بالإضافة إلى أنه ما زال على دينهم ((فما يجسر أحد على إخفار ذمته ،واستباحة بيضته (٣) فإذا كلموه كلموه بأدب رفيع ، حيث كان كلامهم معه بالفاظ تدل على الإحترام حتى مع نفاذ صبرهم على ابن اخيه صلى الله عليه وسلم فيذكر ابن اسحاق انهم مشوا اليه بعد نفاذ الصبر فقالوا ((ياأبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لانصبر على هذا من

---

(١) انظر ابن هشام السيرة النبوية ح١ ـ ص ٢٨٢ ـ بن سيد الناس عيون الأثر ح١ ـ ص ٩٩

(٢) بن هشام ـ السيرة النبوية ح١ ـ ص٢٨٤ ـ بن سيد الناس عيون الأثر ح١ ـ ص ٩٩ ـ انظر بن الأثير الكامل في التاريخ ح٢ ـ ص ٤٢

(٣) محمد الغزالي ـ فقه السيرة ص ١٠٣

شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا أو ننازله العداء وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين)) (١) فيظهر من كلامهم أن صبرهم نفد فتأثر أبو طالب من كلامهم هذا حيث ذهب إلى ابن أخيه فقال: ((يابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا للذي قالوا له ، فأبق علىّ وعلى نفسك ، ولاتحملني من الأمر مالا أطيق)) (٢) فانتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شعور بأن عمه خاذله ومتول عنه فعندها أعلن بكلماته بغاية الصراحة موقفه من دعوته وأنه لايترك هذا الأمر الذي بعثه الله به حتى ولو راحت حياته فقال إراداً على عمه ((ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك منه ما تركته)) (٣) وألحقها بعبرات خففت في قلب العم الحنون على ابن أخيه ، ثم ولى عنه وبعدها تحركت نخوة أبي طالب وعصبته تجاه ابن أخيه حيث قال: أقبل يابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا)) (٤)

---

(١) بن هشام ـ السيرة النبوية ج١ ـ ص ٢٨٤ ـ بن سيد الناس ـ عيون الإثر ج١ ـ ص ١٩٥ ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج٢ ـ ص ٤٢

(٢) (٣)، (٤) ـ بن هشام السيرة النبوية ج١ ـ ص ٢٨٥ ـ بن سيد الناس عيون الأثر ج= ـ ص ١٠٠

ما أروعها من مواقف إنها صلابة العقيدة الراسخة في قلب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يعلن من خلالها أنه لايبيع هذه المباديء بالشمس ولا بالقمر ، فالإصرار على المبدأ والمضي في الطريق هي طريق النجاح وهي التي حركت في كوامن ابي طالب العصبية وصلة الرحم)) (١) وهذا الإصرار عند محمد صلى الله عليه وسلم لم ينتج من فراغ إنما نتج عن قوة الإيمان والقناعة بطريق الدعوة الذي يسير عليه ، وهذا هو الذي نحتاج إليه لعالم الدعاة اليوم إنه قوة الإيمان والقناعة الكاملة ينتج عنها اصرار في العمل والتبليغ لدين الله يجعل الدعوة تتوغل في صميم حياة الناس فتكون حديثهم فهو النجاح كل النجاح للدعوة (٢) كما قال الاستاذ البهي الخولي . فالمتبع لسيرة محمد صلى الله عليه وسلم منذ ان جهر بالدعوة فهي تتجول في صميم الناس وتتوغل في قلوبه الأشراف والضعفاء ، والشعراء ، والأدباء فهم بين مؤيد ومعارض إن الذي جعلها كذلك هو التصميم وعدم التنازل في أي جزئية ولو صغيرة من

---

(١) عبدالله خياط ـ حكم وأحكام من السيرة النبوية ص ٩ ط ٠ دار الرفاعي للنشر والتوزيع ٠ الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م

(٢) البهي الخولي ـ تذكرة الدعاة ص ٢٥٥ مكتبة الفلاح الكويت ١٣٩٩

مبادىء الدعوة مما حدا بالقرشيين أن يرجعوا إلى أبي طالب مرة أخرى ولكن عن طريق المساومة حيث مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا : ياأباطالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجلده ، فخذه ، فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم ، فنقتله فإنما هو رجل برجل)) (١) فكان الرد من أبي طالب يقابل الطلب ((والله لبئس ما تسومونني أتعطونني أبنكم اغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه : هذا والله مالايكون ابدا (٢) فكان لهذه الحمية والنصرة من أبي طالب أثر فعال في الدعوة حيث استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته يدعوإلى الله عز وجل حتى أن أبا طالب قد هم بقتل أشراف قريش لما همت باغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ابن سعد في الطبقات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لما قال قولوا لاإله إلا الله ، إشمأزوا

---

(١) انظر ـ هشام ـ السيرة النبوية ـ ح١ ص ٢٨٥ ، بن سيد الناس ـ عيون الاثر ح١ ص ١٠٠ ، بن سعد الطبقات الكبرى ـ ح١ ص ٢٠٢ ، بن كثير البداية والنهاية ح٣ ص ٤٨

(٢) المصدر السابق .

ونفروا منها وغضبوا وقاموا وهم يقولون اصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ، وقالوا لاتعود إليه أبدا ، وما خير من أن يغتال محمد ، فلما كان مساء تلك الليلة فُقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء أبوطالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه فجمع فتيانا من بني هاشم وبني المطلب ثم قال ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ، ثم ليتبعني إذا دخلت المسجد فليظر كل فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم - فيهم بن الحنظلية ويعني اباجهل - فإنه لم يخب عن شر إن كان محمد قد قتل فقال الفتيان : نفعل فجاء زيد بن حارثة فوجد أباطالب على تلك الحال فقال : يازيد أحسست ابن أخي ؟ قال : نعم كنت معه آنفا فقال أبو طالب : لاأدخل بيتي حتى أراه فخرج زيد حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه يتحدثون فأخبره الخبر فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي طالب فقال : يابن أخي أين كنت ؟ أكنت في خير قال : نعم قال : ادخل بيتك ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما اصبح أبو طالب غدا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بيده فوقف به على أندية قريش ، ومعه الفتيان الهاشميون والمطّلبيون فقال يا معشر قريش هل تدرون ما همت به ؟ قالوا لا ، فأخبرهم

الخبر وقال للفتيان اكشفوا عما في أيديكم فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة فقال : والله لو قتلتموه ما بقّيت منكم أحدا حتى نتفانى نحن وأنتم ، فأنكسر القوم وكان أشدهم إنكسارا أبوجهل (١) فسكت القوم بعدها عن محاولة الإغتيال إلى حين أن اشتد نشاط الدعوة خارج مكة بل إنهم أجمعوا على التخلص منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخصوصا بعد دخول حمزة وعمر رضي الله عنهما في الإسلام فما كان من أبي طالب إلا أن جمع بني عبدالمطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شعبهم ، وأمرهم أن يمنعوه ممن أراد قتله . فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ، ومنهم فعله إيمانا ويقينا (٢) .

ولقد أصاب المسلمون من الجهد والبلاء ما الله به عليم ، فكان أبو طالب شديد الخوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد إغتياله

---

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية ج٣ ـ ص ٨٤

(٤) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ج١ ـ ص ١٣٥

فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أوبني عمه فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يأتي بعض فرشهم (١) وهكذا كان أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناصرا ومانعا عنه السفهاء فلم يألو جهدا في ذلك حتى مات وليس أدل على ذلك من أنه لما هلك نالت قريش منه من الأذى مالم تطمع به في حياة أبي طالب حتى أن سفيها من سفهاء قريش نثر على رأسه ترابا ، ودخل بيته ، والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لاتبكي يابنية ، فإن الله مانع أباك (٢) ثم يذكر بعدها ابن اسحاق قول الرسول صلى الله عليه وسلم مؤكدا أثر أبي طالب في نصرته ((ما نالت مني قريش شيئا اكرهه حتى مات أبو طالب (٣) ويؤكد كذلك ابن كثير رحمه الله بقوله ((وعندي أن غالب ما روى مما تقدم من

---

(١) انظر ـ محمد بن اسحاق ـ سيرة ابن اسحاق ص ١٤١ ط الوقف للخدمات الخيريه تحقيق محمد حميدالله .
انظر ابن سيد الناس ـ عيون الأثر ـ ج١ ـ ص ١٢٧ .
بن كثير ـ البداية والنهاية ج٣ ص ٨٤ .
انظر كذلك ـ المباركفوري ـ الرحيق المختوم ـ ص ١٢٦
(٢) بن هشام ـ السيرة النبوية ج٢ ـ ص٥٨

طرحهم سلا الجزورين كتفيه وهو يصلي ، وكذلك ما أخبر به عبدالله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقا شديدا حتى حال دونه أبي بكر الصديق قائلا اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، وكذلك عزم أبي جهل ـ لعنه الله على أن يطأ عنقه وهو يصلي ، فحيل بينه وبين ذلك وما أشبه ذلك كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم (١) من خلال ما تقدم تتبين جهود أبي طالب في الإيواء والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع العلم أنه لم يكن على دينه فلعل هذا يعتبر من احدى المعجزات والكرامات التي أكرم الله بها رسولنا إذ جعل له من جانب دعوته ولم يخالط بشاشتها قلبه ، جعله نصيرا وعونا على تأييدها وعاملا قويا على ذيوعها وانتشارها (٢) .

وقال ابن كثير في هذا الصدد ذاكرا جميل صنعه وعظيم نصرته لرسول الله ،(كان يصد الناس عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ونفس ومال

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ ج٣ ، ص ١٣٥

(٢) عبدالله عبدالغني خياط ـ حكم وإحكام من السيرة النبوية ص ١٢

ولكن مع هذا لم يقدر الله الإيمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة ، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ولولا ما نهانا الله عن الإستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه)(١) والقول بموت أبي طالب على الشرك هو قول جمهور العلماء وهو الذى تدل عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن الشيعة يرون أنه مات وقد نطق بالشهادتين التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين في ذلك أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تكلم بالكلمة التي أمرته أن يقولها كما أن الأستاذ الإمام محمد أبو زهرة قال في كتابه خاتم النبيين كلاما مفاده أن أبا طالب مات على غير الشرك حيث قال ((ونحن نقول فيما استنبطنا أنه ليس بمشرك قط ، لأن المشرك من يعبد الأصنام ويشركها مع الله تعالى ، وأفعاله وأقواله ومواقفه تدل على أنه يرى عبادة الأصنام ويراها امرا باطلا ، ولذلك أميل إلى أن استغفر له إن كنت من أهل هذا المقام ، وأرى أنه ليس بكافر

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ج٣ ـ ص ١٢٦

أصلا والله سبحانه وتعالى هو العليم بذات الصدور وما تخفي الأنفس)) (١) هذا كلامه رحمه الله . ومع إحترامي للامام أبي زهرة ولآرائه لكن القول بأنه مات مشركا دلت عليه الأحاديث الصحيحة كما جاءت في صحيح البخاري وصحيح مسلم كذلك . فذكر البخاري بابا في صحيحه سماه/قصة أبي طالب وساق فيه ثلاثة أحاديث كلها تدل على هذا: الحديث الأول : أن العباس بن عبد المطلب قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما أغنيت عن عمك فو الله كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار ـ الحديث الثاني : عن ابن المسيب عن أبيه أن أباطالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل فقال: أي عم قل لاإله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبدالمطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبدالمطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك مالم أنه عن ذلك فنزلت

---

(١) أبو زهرة ـ خاتم النبيين ـ ج(ص ٤٤٥)

(ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم). ونزلت ((إنك لاتهدي من أحببت)). الحديث الثالث : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وفي رواية أخرى تغلي منه أم دماغه (١) أما الإمام مسلم رحمه الله فقد أخرج حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أيضا . وقال في آخره فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد تلك المقاله حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبدالمطلب .

وأبى أن يقول لاإله إلا الله كما أخرج مسلم أيضا من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه قل لاإله إلا الله أشهد لك بها عند الله يوم القيامة قال لو لا أن تعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله

---

(١) الامام البخاري ـ الجامع الصحيح ـ ج٤ ـ ص ٢٤٧

يهدي من يشاء)) (١) فاقتران نزول الآية بهذه الحادثة دليل والله أعلم على أن الهداية لم تحصل لأبي طالب وقد قال النووى رحمه الله تعالى فقد أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب وكذلك نقل إجماعهم على هذا الزجاج وغيره (٢) . قلت وهذا يبين فضل التوحيد والمعتقد السليم فإن/من مات مشركا لا يقبل الله منه مهما قدم وعمل وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ((لئن أشركت ليحبطن عملك)) (٣) وقال ايضا ((إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) (٤) كما قال صلى الله عليه وسلم مبينا فضل التوحيد وفضل الشهادتين من شهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار)) (٥) فنسأل القدير أن يتوفانا على التوحيد وعلى العقيدة الصحيحه .

---

(١) النووي ـ صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ـ ص ٣١٤ ـ ٣١٥

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة الزمر آية ٦٥

(٤) سورة النساء آية ٤٨ ـ ١١٦

(٥) حديث صحيح رواه مسلم ـ انظر النووي ـ صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص ٢٢٩

ثانيا : هشام بن عمرو(٢) الذين سعوا معه في نقض الصحيفة

عرفنا فيما تقدم دخول بني المطلب وبني هاشم في الشعب وأنه أصابتهم حالة بائسة من الجهد والجوع ويصفهم السهيلي في الروض الأنف ويصف حالتهم فيقول :(إنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر ، حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة ، وكان منهم سعد بن أبي وقاص روي أنه قال: لقد جعت حتى إني وطئت ذات ليلة على شيء رطب فوضعته في فمي وبلعته ، وما أدري ماهو إلى الآن وفي رواية يونس أن سعدا قال خرجت ذات ليلة لأبول فسمعت قعقعة تحت البول فإذا قطعة من جلد بعير يابس فأخذتها وغسلتها ثم أحرقتها ثم رضختها وسففتها بالماء فقويت بها ثلاثا ، وكانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام لعياله فيقوم أبو لهب عدو الله فيقول يامعشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لايدركوا معكم شيئا فقد علمتم مالي وذمتي فأنا ضامن أن لاخسار عليكم فيربحون عليهم السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع إلى أطفاله ، وهم يتضاغون من الجوع وليس في يديه شيء يطعمهم به (١) .

الحاصل أن المؤمنين ومن معهم في هذا الشعب جهدوا جهدا شديدا

---

(١) السهيلي ـ الروض الانف، ج٣ ـ ص ٢٥٥ ط دار النصر تحقيق عبدالرحمن الوكيل وانظر كذلك علي بن برهان الدين الحلبي ـ السيرة الحلبية ج٢ ص ٢٥ ط دار المعرفة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م الفاتحة

(٢) هو هشام ابن عمرو بن ربيعه ذكر في أسد أنه أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم أعطاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غنائم حنين دون المائة من الإبل انظر ابن هشام ج٢ ـ ص ١٤ ـ ابن الأثير أسد الغابه ج٤ ـ ص ٦٢٨

فجهدوا جوعا وعريا فكانوا ولا شك في أمس الحاجة إلى نصرة وإيواء فتحركت بعض قلوب كفار قريش لهم بالرحمة والوصل فكان من ذلك هشام بن عمرو حيث كان (يأتي بالبعير ليلا قد أوقره طعاما حتى إذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ثم يأتي به قد أوقره بزا فيفعل مثل ذلك) (١) كما أن حكيم بن حزام بن خويلد خرج ومعه غلام له يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في الشعب (فتعلق به أبوجهل وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم والله لاتذهب أنت ولا طعامك حتى أفضحك بمكة فجاءه أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فقال مالك وله فقال يحمل الطعام إلى بني هاشم فقال له أبو البختري طعام كان لعمته عنده بعثت إليه ، تمنعه أن يأتيها بطعامها خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ أبو البختري لحي بعير فضربه به فشجه ووطئه وطئا شديدا) (٢). هذا جزء من جهود

---

(١) انظر ابن هشام ـ السيرة النبوية ج٢ ص ١٤ ـ انظر كذلك ابن كثير السيرة النبوية ج٢ ـ ص ٦٧ وابن الإثير الكامل في التاريخ ج٢ ص ٦٠

(٢) انظر ابن هشام ـ السيرة النبوية ج١ ص ٢٧٩ ،ابن سيد الناس عيون الأثر ج١ ص ١٢٦ ابن كثير البداية والنهاية ص ٨٨

هشام بن عمرو وأبو البختري بن هشام كما أن لهما نشاطا عظيماً أيضاً في نقض تلك الصحيفة الظالمة بالإشتراك مع زهير بن أمية وزمعة بن الأسود وكذلك المطعم بن عدي وكان الذي بدأهم في ذلك هشام بن عمرو رضي الله عنه - حيث ذهب إلى زهير بن أمية بادئ ذي بدء وذكره بحالة أخواله بني عبدالمطلب وذلك أن أمه عاتكة بنت عبدالمطلب فقال لو دعيت أبو جهل لمثل ما دعيتك له لأجاب حتى قال : زهير بن أمية إنما أنا رجل ماذا افعل فلو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها فقال هشام : أنا . قال أبغنا ثالثا فذهب هشام إلى المطعم ابن عدي فكلمه فيهم وذكره بحالتهم البائسة في الشعب حتى قال المطعم مثل ما قال لزهير وأيضا قال : أبغنا رابعا فذهب هشام إلى أبي البختري ابن هشام فكلمه كما كلم سابقيه فرد عليه كما ردوا عليه وقال: أبغنا خامسا فذهب هشام إلى زمعة بن الأسود فكلمه كما كلم من سبقه فرد عليه كما ردوا كذلك ثم إنهم اجتمعوا في الحجون ليلا فقال زهير بن أمية أنا أبدؤكم فيها - ثم جاء صباح اليوم الثاني فطاف زهير بالبيت ثم أقبل على الناس فقال : ياأهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبني هاشم هلكى لايباع لهم ولا يبتاع منهم والله لاأقعد حتى تتقض هذه الصحيفة القاطعة الظالمة قال : أبو جهل وكان في ناحية المسجد . كذبت والله لاتشق ، قال زمعة أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حيث كتبت قال أبو البختري صدق زمعة لاندرضى

ماكنت فيها ولا نقربه ، قال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها ، وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك ، فقال أبو جهل هذا أمر قضي جليل تشوّر فيه بغير هذا المكان . فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضه قد أكلتها إلا باسمك اللهم (١) وإن روى فيها غير هذا وهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أن الصحيفة قد أكلتها الأرضة فمشى أبو طالب إليهم وأخبرهم الخبر وقال هذا بيننا وبينكم نصفة فإن كان صادقا اقطعوا عنا الظلم ، وإن كان كاذبا أسلمناه لكم فقالوا نعم فلما وجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم كذبوا وأنكروا وزعموا أن هذا سحر فعندها قام أولئك النفر في نقضها ، وأيا كان الأمر هذا أو ذاك فإن جهود هؤلاء الخمسة تعتبر من أكبر الإيواء والنصرة التي حصلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولدعوته ، ولاينسى أثر ذلك على سير الدعوة والدعاة فقد خرج بنو هاشم بن عبدالمطلب من الشعب وفك عنهم هذا الحصار الإقتصادي مما فرج الله به عن المسلمين مما هم فيه من

---

(١) انظر بن هشام ـ السيرة النبوية ج٢ ص ١٤ ـ ١٦ ـ كذلك انظر بن اسحاق سيرة بن اسحاق ص ١٤٥ ـ ابن كثير السيرة النبوية ج٢ ص ٦٧ ـ ٦٨ ، بن جرير الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج٢ ص ٣٤٢ بن الأثير الكامل في التاريخ ج٢ ص ٦١

الضيـــق والضنـــك بـــل إن المقاطعـــة نفسهـــا وكما يقـــول الإمـــام أبـــو زهـــرة ((كانـــت سببـــا فـــي أن تســـامـــع العرب بالإســـلام ودعوتـــه وأن تصـــل الدعـــوة المحمـديـــة إلى القبائـــل فـــي أماكنهـــم ، فمـــن اهتـــدى فقـــد اهتـــدى لنفســـــه ودعـــا غيـــره بالهـدايـــة ، ومـــن لـــم يؤمـــن بـــه تحـــدث مـــع غيـــره بمـــا كفـــر به فتكـــون قـــد علـــم بهـــا مـــن ارتضاهـــا ومـــن لـــم يرتضهـــا ، لقـــد حملهـــا جميعهم ورب حامـــل فقـــه لافقـــه لـــــه ورب حامـــل فقـــه إلـــى مـــن هو افقـــه))(١)

وهكـــذا انقضـــت الصحيفـــة واندفـــك الحصـــار عنهـــم وكـــان مـــن المساهميـــن فـــي ذلـــك المطعـــم بـــن عـــدي نجـــد لـــه موقفـــا آخـــر مـــن أشـــرف المـــواقـــف وذلـــك أنـــه أجـــار رســـول اللـــه صلى اللـــه عليـــه وسلـــم حيـــن قـــدم مـــن الطائف بعـــد أن آذوه ولـــم يستجيبـــوا لـــه بعـــث رســـول اللـــه صلى اللـــه عليـــه وسلـــم رجـــلا إلـــى الأخنـــس بـــن شـــريق ـ رضـــي اللـــه عنـــه ـ حيـــث أسلـــم بعـــد ذلـــك ـ وطلـــب منـــه أن يجيـــره بمكـــة ، فقـــال إن حليـــف قريـــش لايجيـــر على حميهـــا ثـــم بعثـــه إلـــى سهيـــل بـــن عمـــرو ليجيـــره فقـــال : إن بني عـــامـــر بـــن لـــؤى لاتجيـــر علـــى بـــني كعـــب بـــن لـــؤى ثـــم بعثـــه إلـــى المطعـــم بـــن عـــدي ليجيـــره فقـــال : نعـــم اقـــل لـــه فليـــأت ، فـــذهـــب إليـــه رســـول اللـــه صلى اللـــه عليـــه وسلـــم فبـــات عنـــده تلـــك الليلـــة . فلمـــا أصبـــح خـــرج معـــه هـــو وبنـــوه

---

(١) محمـــد ابـــو زهـــرة ـ خاتـــم النبييـــن ج١ ص ٤٣٥

ستة أو سبعة متقلدي السيوف جميعا فدخلوا المسجد ، وطاف الرسول صلى الله عليه وسلم واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف ، فأقبل أبو سفيان (١) إلى المطعم بن عدي فقال أمجير أو تابع ؟ قال: بل مجير قال: إذا لا تخفر فجلس معه حتى قضى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- طوافه فلما انصرف انصرفوا معه (٢) .

ويعلق الحلبي على هذا فيقول (ولا بُدْع في دخوله - صلى الله عليه وسلم- في أمان كافر لأن حكمة الحكيم القادر قد تخفى ، وهذا السياق يدل على أن قريشا كانوا أزمعوا على عدم دخوله - صلى الله عليه وسلم- مكة بسبب ذهابه إلى الطائف، ودعائه لأهله)(٣) ولاشك ان نصرة المطعم بن عدي وهي خدمة من كافر لم يسلم بل إنه مات كافرا لها أثر كبير في سيرة الدعوة والدعاة حيث عرض نفسه صلى الله عليه وسلم على القبائل أيهم يؤويه فكان ما كان من استجابة الأنصار رضي الله عنهم أجمعين -

---

(١) في بعض الروايات ابو جهل .

(٢) انظر ابن كثير البداية والنهاية ج٣ ص ١٣٧ ، بن سعد - ج١ ص ٢١٢ ، ابن سيد الناس - عيون الأثر ج١ - ص ١٣٦ ، بن الأثير الكامل في التاريخ ج٢ ص ٦٤ ، علي برهان الدين الحلبي - السيرة الحلبية ج٢ ص ٦١ ط دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠

(٣) المصدر السابق .

ولهذا لم ينس الحبيب المصطفى هذا الموقف من المطعم بن عدى لابنه جبير بن مطعم قبل أن يسلم حين سأله في أسارى بدر (لو كان الشيخ حيا فأتانا فيهم لشفعناه) (١)

ثالثا : العباس بن عبدالمطلب ـ رضي الله عنه

وإنما ورد ذكره ههنا لأنه ـ رضي الله عنه نصر رسول الله صلى عليه وسلم قبل أن يسلم وإن كانت حياته بعد إسلامه تعتبر نصرة إلا أنني أسجل هذه النصرة في هذا المكان باعتبارها مهمة جدا في سير الدعوة ، وهذه النصرة في يوم العقبة الثانية حيث جاء مرافقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بل وتكلم عنه فكان أول متكلم في تلك البيعة ، فيقول كعب بن مالك رضي الله عنه في أمر تلك البيعة ((فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ، ويتوثق له فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبدالمطلب فقال: يامعشر الخزرج ...

---

(١) ابن الأثير- أسد الغابة ج١ ص ٢٢٣

إن محمدا منا حيث علمتم في بلده ، وإنه قد/الإنحياز لكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه وما نعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلكم ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده (١) ولا يخفى أثر هذا الكلام في مثل هذا الوقت فهو يعتبر أكبر نصرة للدعوة والداعية أضف إلى ذلك مصاحبته لابن أخيه في هذا الليل المظلم الدامس لحضور هذه البيعة المهمة بالنسبة للدعوة فهي نصرة كما يظهر تعتبر منه وهو مظهر لدين قومه وإن كان بعض المؤرخين يرى أنه مسلم وأنه يخفي إسلامه إلا أن الظاهر أنه مازال على دين قومه كما يقول كعب بن مالك رضي الله عنه .

---

(١) بن هشام ـ السيرة النبوية ج٢ ـ ص٨٤ ،ابن سيد الناس ـ عيون الأثر ج١ ـ ص ١٦٣ ـابن كثير ـ السيرة الذبوية ج٢ ـ ص ١٧٦

رابعاً : أبو لهب

قد تأخذك عزيزي القارئ دهشة واستغراب حين تقرأ هذا العنوان وتفاجأ به وتتساءل كيف يحصل من هذا الماكر الخبيث نصرة ولكن مع التدقيق في كتب السيرة والتأريخ وجدنا أن التأريخ قد سجل له موقفين أحدهما نصرة لأبي طالب حينما كان ينصر رسول الله - صلى الله عليه وسلم-والآخر مع الرسول-صلى الله عليه وسلم - نفسه وإن كان هذا لم يستمر طويلا إلا أنني أحببت تسجيل هذين الموقفين باعتبارهما إيواء ونصرة .

الموقف الأول لما استجار أبو سلمه بأبي طالب مشى له رجال من بني مخزوم ، فقالوا له : ياأباطالب : لقد منعت منا ابن أخيك محمدا ، فما لك ، ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال: إنه استجار بي وهو ابن أختي ، وإن لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي .

فقام أبو لهب فقال: يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون تُوثّبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه ، أو لنقومن معه في كل ما قام فيه ، حتى يبلغ ماأراد

---

(١) بن هشام - السيرة النبوية ج٢ - ص ١٠ ابن كثير - السيرة النبوية ج٢ - ص ٦٢ - البداية والنهاية ج٣ - ٩٣

ولا شك أنه يقصد نصرة محمد من قوله لتقومن معه في كل ما قام فيه ثم يذكر ابن اسحاق قول الملأ من قريش حيث قالوا ((بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة (١) فكأنهم تداركوا الموقف خشية أن يكون ناصرا لابن أخيه أيضا .

الموقف الثاني : أما الموقف الثاني الذي حصل من أبي لهب فهو كما قال محمد ابن سعد وبعد وفاة ابي طالب ((اجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان فلزم بيته وأقل الخروج ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع به فبلغ ذلك أبالهب فجاءه فقال يامحمد امضي لما أردت ، وما كنت صانعا إذ كان أبو طالب حيا فاصنعه ، لاواللات لايوصل إليك حتى أموت.وسب ابن العيظلية النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عليه أبو لهب فنال منه فولى وهو يصيح : يامعشر قريش صبأ أبو عتبة ، فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال ما فارقت دين عبدالمطلب ولكني مع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد ، قالوا : أحسنت وأجملت ووصلت الرحم (٢) . ثم يذكر ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية ج٢ ـ ص ١٠ ، ابن كثير ـ السيرة النبوية ج٢ ـ ص ٦٢ البداية والنهاية ج٣ ـ ص ٩٢

(٢) انظر ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ج١ ـ ص ٢١١ ، ابن كثير البداية والنهاية ج٣ ـ ص ١٣٤

مكث أياما يذهب ويأتي لايعترض له أحد من قريش ، وهابوا أبالهب .

ولكن قوى الكفر والشر هناك كانت تعمل بكل جدية لإيقاف نشاط هذه الدعوة أو الحد من نشاطها فلم يعجبها هذا الموقف الإيجابي من أبي لهب تجاه رائد الدعوة صلى الله عليه وسلم فجاء عقبة بن أبي معيط وأبو جهل بن هشام إلى أبي لهب فقالا له : أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك؟ فقال له أبو لهب : يا محمد أين مدخل عبدالمطلب ؟ قال : مع قومه ، فخرج أبو لهب إليها فقال قد سألته فقال مع قومه (١) فكررا عليه السؤال مرة أخرى مقترنا بالجواب حيث قالا (يزعم أنه في النار ، فقال يامحمد أيدخل عبدالمطلب النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ومن مات على مثل مامات عليه عبدالمطلب دخل النار فحين ذلك نجحت خطة قريش ونكص الخبيث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : والله لا برحت لك عدوا أبدا ، وأنت تزعم أن عبدالمطلب في النار (١) فيقول ابن سعد فاشتد عليه هو

---

(١) المصدر السابق .

وسائـــر قريـــش ٠

وهـــذه النصـــرة وإن كانـــت مبنية علـــى العصبية والقبلية وأنهـا لـم تستمـــــر طويـــلا إلا أنهـــا ذات أثر كبيـــر فـي تمكيـــن الداعيـــة مـــن الدعـــوة وإعطائـــه بعـــض الفرص حيـــث أصبـح الداعيـــة الأول ، صلى اللـه عليـه وسلـم ، فـي مأمـــن علـــى نفســـه أثنـــاء تلـــك النصرة ، فكـان يذهـب ويأتـي ولا يعترض لـه أحـــد خوفـــا مـن أبـي لهـــب ، ونلمـح فـي هـــذا الجـــزء بعـــض العبر والدروس التـــي عساهـــا أن تكـــون نبراســـا للدعـاة اليـــوم ٠

أولا : وجـــوب صلة الرحـــم وعـــدم قطيعتهـــا حتـى ولـو كانـوا كفـــارا فـــإن القـــرابـــة لابـــد وأن تتحـــرك عاطفتهـــم ولـــو شيئـــا وقتيـــا

وصلـــة الرحـــم مـن صفـــات الرسـول ـ صلـى اللـــه عليـه وسلـــم ـ التـي جبـل عليها فهـــي مـــن كلمـات النـور التـي زكتـه بهـا خديجـة ـ رضي اللـه عنهـا حيـــن أخبرهـــا بخبـــر البعثـــة ٠

ثانيـــا : علـــى الداعيـــة أن يكون صادقـا تصحبـــه الصراحـة دائمـــا وإن رأى فـــي الصـــدق الهـــلاك فإنه منجـــاة لأن الرسـول ـ صلـى اللـه عليـه وسلـــم ـ حيـــن سألـــه أبـــولهـــب كان الجـــواب صريحـــا وكـذلـك جعفـــر بـن أبي طالـب ـ رضي اللـه عنـه ـ كان جوابه صريحـــا حيـــن سألـــه النجاشـي عـــن قولهـــم فـــــي

عيسى ابن مريم عليه السلام ، فالصدق إذا كان واجبا شرعيا في حق جميع المسلمين فإنه في حق الدعاة إلى الله آكد وأوجب لأنهم يبلغون رسالة الله للناس كافة فهم الذين تولوا مهمة الرسل عليهم السلام والناس ينظرون إليهم على أنهم القدوة .

ثالثا : وجوب الثقة بالله سبحانه وتعالى وأنه هو الناصر وحده وهو المعين . فعدة الدعاة إلى الله الثقة بالله والصبر فينبغي الإهتمام بذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم ـ قال قول الحق والصدق وبكة كلها أظلمت في وجهه ولم يخش إلا الله وهو الذي يقول لزيد ابن حارثة حين رجع من الطائف كيف تدخل مكة وقد طردوك قال إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا .

مقطتفات من نصرة بعض كفار قريش

حصلت بعض النصرة من ألد الأعداء وإن كانت لم تجاوز اللسان لكنها تعتبر نصرة وتأييداً للدعوة وذلك كما حصل من عتبة بن ربيعة بعد أن قرأ عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال حينذاك ((قد سمعت والله ما سمعت مثله قط ، والله ماهو بالشعر ، ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يامعشر قريش اطيعوني واجعلوها بي وخلوا ، بين هذا الرجل وما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم)) (١) وأقول : إن المتتبع لسيرتهم يلحظ أن أكثرهم -وإن لم يكن كلهم- لم يكونوا مكذبين لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم إنما هو العناد والإستكبار وهذا مصداق لقول الله تعالى ، ((قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)) (٢) بل إن كتب السيرة لتذكر أن عظماءهم ليختلسون بعض

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية ج١ ـ ص ٣١٢ ، ابن سيد الناس ـ عيون الأثر ج١ ـ ص ١٥٦ ، ابن كثير البداية والنهاية ـ ج٣ ـ ص ٦٤

(٢) سورة الانعام آية ٣٣

أوقاتهم في ظلمات الليل ليستمعوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يتلو القرآن إعجابا به فيذكر ابن هشام في السيرة ((أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل منهم مجلسا ليستمع فيه ، وكل لايعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة ، أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد على أن لانعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا)) (١) . ولا شك أن جاذبا جذبهم إليه جعلهم يسهرون طوال تلك الليالي الثلاث خلسة وخفية من قومهم يستمعون القرآن الكريم من فمه ـ صلى الله عليه وسلم ثم إن (ألاخنس

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية ج١ ـ ص ٣٣٨ ، ابن كثير البداية والنهاية ج٢ ص ٦٤ ، ابن سيد الناس ـ عيون الأثر ج١ ـ ص ١١٢ .

ابن شريق ذهب إلى أبي سفيان في بيته فقال له : أخبرني عن رأيك في ما سمعت في محمد فقال أبو سفيان : ياأبا ثعلبه والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها ، فقال الأخنس : وأنا والذي حلفت به كذلك كما أن الأخنس ذهب إلى أبي جهل يسأله أيضا عن رأيه فيما سمع فكان جوابه يشعر بالاعتراف لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكن منعه الحسد عن الإيمان به فهو يقول للأخنس ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه والله لانؤمن به ولا نصدقه)) (١) فكلامه هذا لايحتاج إلى تعليق غير أنه يشعر باعترافه بأن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبي وأن الباعث على الكفر به هو الكبر والحسد ليس إلا ولا ننسى أنه هو الذي قال للعباس بن عبدالمطلب حين رأت عاتكه بنت عبدالمطلب الرؤيا التي قبل غزوة بدر الكبرى حيث قال (أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ، نتربص بكم هذه الثلاث فإن يكن حقا

---

(١) المصدر السابق .

وإلا كتبنا عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب) (١)

كما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسمع القرآن ورق له فبلغ ذلك أبو جهل ، فأتاه فقال : (ياعم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال لم ؟ قال ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله ، قال قد علمت قريش أني من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له ، قال : وماذا أقول فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته) (٢) .

كما أن هناك نصرة وإيواء لبعض المسلمين حصلت من بعض المشركين فمن ذلك ابن الدغنه أجار أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حين أراد الخروج من مكة إلى الحبشة حيث قال له : (أين ياأبا بكر ، قال : أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي قال ولم فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف وتكسب

---

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ ـ ج٢ ـ ص ٨١

(٢) ابن كثير البداية والنهاية ج٣ ـ ص ٦١

المعدوم ، إرجع فأنت في جواري ، فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام إبن الدغنه فقال : يامعشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرضن له أحد إلا بخير فكفوا عنه)) (١)

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية ج٢ ـ ص ٨١ ـ ابن كثير السيرة الذبوية ج٢ ص ٦٣ ،وفي البداية والنهاية ج٣ ـ ص ٩٤ ، ابن سيد الناس ـ عيون الأثر ج١ ـ ص ١٨٣ .

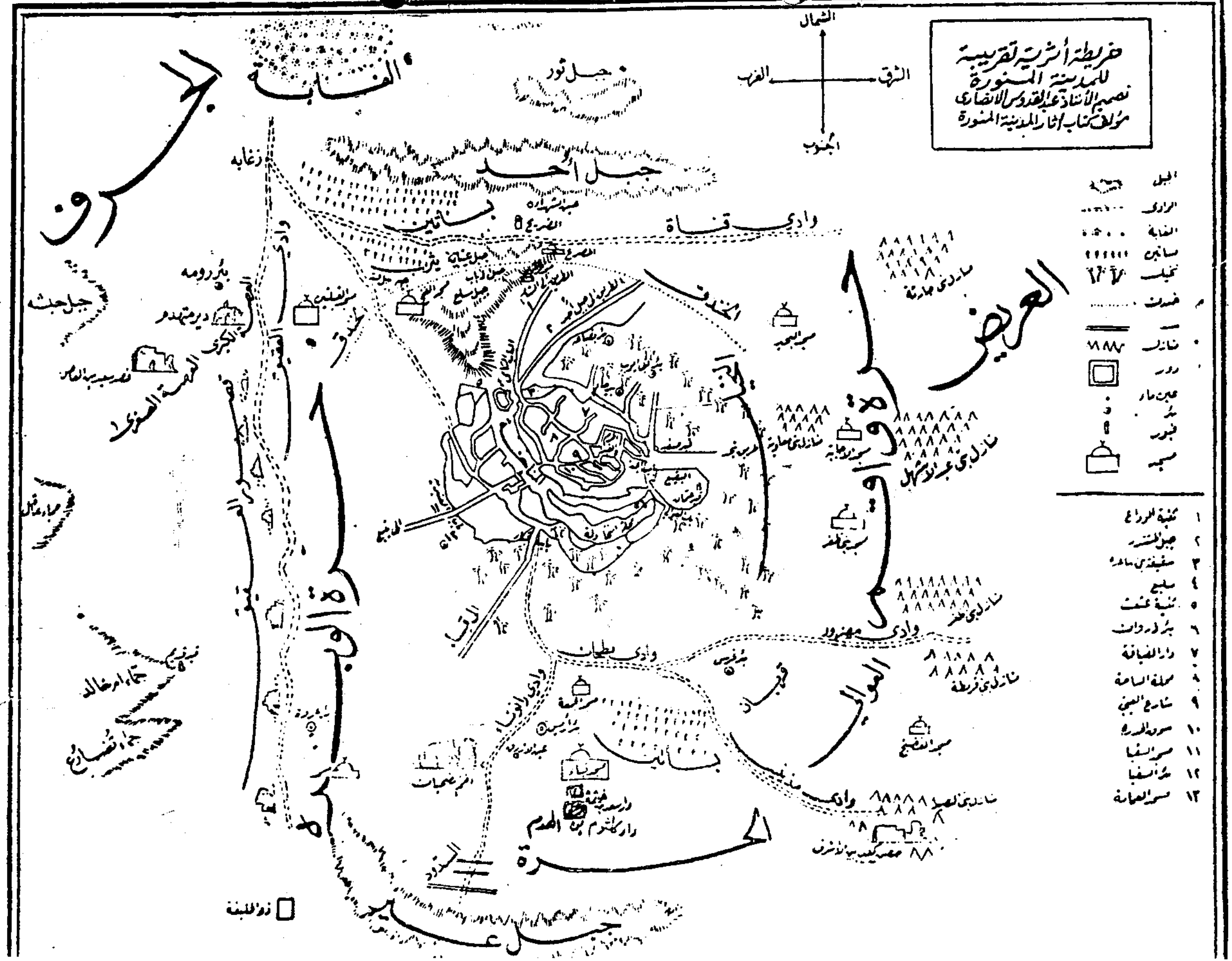

خريطة أثرية تقريبية
للمدينة المنورة
تصميم الأستاذ عبد القدوس الأنصاري
مؤلف كتاب آثار المدينة المنورة
الشمال
الشرق
الغرب
الجنوب
الجرف
الغابة
جبل ثور
جبل أحد
وادي قناة
بساتين
زغابة
العريض
الخندق
حرة الوبرة
حرة واقم
العوالي
وادي العقيق
وادي بطحان
وادي مهزور
قباء
جبل عير
الجبل
الوادي
الغابة
بساتين
نخيل
خندق
منازل
دور
عين ماء
بئر
قبور
مسجد
١ ثنية الوداع
٧ دار الضيافة
١٢ بئر السقيا

الفصل الثاني

الإيواء والنصرة في العهد المدني

يئس ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من قومه ، ورأى أن هؤلاء القوم يلجون في طغيانهم ، وأنهم مستمرون في عداوته ، وعدم نصرته ، فذهب يعرض نفسه الكريمة على قبائل العرب ويقول ، من ينصرني ومن يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة ، فكان يتحين الفرص في موسم الحج ، حيث ذهب إلى القبائل في مخيماتهم وأماكن اقامتهم التي ينزلون فيها .

فمذهب إلى كندة في منازلهم ، ودعاهم إلى الله عز وجل ، كما أتى كلبا في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فلم يقبلوا ما عرض عليهم ، ثم أتى بني حنيفة فدعاهم إلى الله عز وجل ، فلم يكن أحد من العرب[1] أقبح رداً عليه منهم ، كذلك أتى بني عامر بن صعصعه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ، فقال ذلك الرجل : أفتهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه[2] . كما أنه عرض نفسه على ربيعه فكان جوابهم حسن لا بأس به ، وأفادوا أنهم نزلوا على عهد أخذه عليهم كسرى ، فلا نحدث حدثا ، ولا نؤوي محدثا ، وأدركوا أن أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأمور التي يكرهها الملوك ، فوافقوا على نصرته ، ومنعه مما يلي العرب دون بلاد فارس ، للعهد الذي بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق ، إنه لا يقوم بهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه[3] .

فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ذلك من أمره ، يدعو القبائل إلى الله وإلى الاسلام ويعرض عليهم نفسه طلبا للإيواء والنصرة ، فكان لا يسمع بقادم يقدم من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله عزوجل .

---

(١) باختصار انظر كامل الموضوع في سيرة ابن هشام جـ٢ص ٦٨ ابن جرير الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك جـ٢ ص ٣٥٣ .
ابن سيد الناس ـ عيون الأثر جـ١ ص١٥٤ ابن كثير البداية والنهاية جـ٣ص ١٤٠
ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ جـ٢ ص ٦٥

(٢) المرجع السابق .

(٣) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ جـ٣ ص ١٤٤

(قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا ، وكان يسمى في قومه الكامل لجلده ، وشعره ، ونسبه ، وشرفه ، فتصدى له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين سمع به ، فدعاه إلى الله - عز وجل - وإلى الاسلام ، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معي ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مجلة لقمان - يعني حكمة لقمان - ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اعرضها علىّ ، فعرضها عليه ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا كلام حسن ، ومعي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله علىّ هدى ونور ، ثم تلا عليه القرآن ، ودعاه إلى الاسلام فلم يبعد منه[1] ، ثم انصرف إلى المدينة ، فقتل هناك ، وقيل أنه قتل مسلما .

كما قدم مكة أبو الحيسر أنس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، فسمع بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسمع بقدومهم ، فذهب إليهم وقال لهم : (هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله ، بعثني الى العباد وأدعوهم إلى الله ، أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل علىّ الكتاب ، ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فقال إياس بن معاذ : أى قوم هذا والله خير مما جئتم له ، فأخذ أبو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه هذا الغلام وقال له : دعك من هذا فلعمرى لقد جئنا لغير هذا[2] ، ثم رجع هذا الوفد إلى المدينة فلم يلبث اياس بن معاذ أن هلك ، وقيل أنه مات مسلما كذلك .

وفي هذين اللقائين بشائر نور ، وبرقة غيث تلمع في الأفق لتؤذن للعطاش المقفرين بما يكون بعدها من الغيث المغيث . . وقرب النصر من عند الله ، لقد رجع هذان الوفدان يحملان دعاية إعلامية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ورسالته ، لا سيما وأن القوم قريبون من الاستجابة لتلك الدعوة ، مما يمهد قبول أهل المدينة للدعوة والاستجابة لها ، إضافة إلى ما كانت تحدثه به يهود الذين نزحوا إلى بلادهم ، وهم أهل كتاب . وقد ورد ذكر هذا النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - في كتابهم فكانوا يقولون لأهل المدينة إذا كان بينهم شيء ان نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم[3] وسبحان الله فلما كان القتل - قتل عاد وإرم - وهو مصداق لقول الحق تبارك وتعالى "" وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا""[4] .

---

(١) / (٢) / (٢) يمكن الرجوع إلى : السيرة النبوية لابن هشام - السيرة النبوية - جـ ٢ صـ ٦٨ ، تاريخ الطبري - تاريخ الأمم والملوك جـ ٢ صـ ٢٠٢ ، سيرة ابن سيد الناس - عيون الأثر جـ ١ صـ ١٥٤ ، البداية والنهاية جـ ٣ صـ ١٤٩ ، الكامل في التاريخ جـ ٢ صـ ٦٥ .

(٣) سورة البقرة آية ٨٩ .

وهكذا أكرم الله الأنصار وأهل يثرب بنصرة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ونصرة دعوته ، بما حباه الله لهم من أسباب كرامته .

وفي أحد المواسم خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليعرض نفسه على قبائل العرب - كما كان يفعل - فالتقى بستة نفر من الخزرج ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أين أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج ، قال : أمن موالي اليهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، حينذاك قال بعضهم لبعض ، تعلمون والله إنه للنبي الذى توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه ، وصدقوه ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى الله أن يجمعهم بك ، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا .(١)

فلما رجعوا إلى المدينة وقد حملوا معهم هذا الدين كانوا شعلة نشاط فقد كرسوا جهودهم وبذلوا وقتهم للدعوة إلى الله حتى فشى ذكر الإسلام ، فلم يبق دار من دور أهل المدينة إلا فيها ذكر من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سواء كان هذا الذكر ايجابا أو سلبا ، المهم انتشر ذكر الإسلام وخبره وخبر رسول الإسلام حتى كان نتيجة ذلك أن عقدت بيعه العقبة الأولى ، وذلك بعد سنة واحدة من تأريخ ذلك اللقاء المبارك .

---

(١) ابن هشام - السيرة النبوية جـ٢ ص ٧٠ ، ابن جرير الطبرى جـ٢ ص ٣٥٤ ، ابن سيد الناس - عيون الأثر جـ١ ص ١٥٥ - ابن كثير - البداية والنهاية جـ٣ ص ١٤٩ ، ابن الأثير - الكامل في التاريخ جـ٢ ص ٦٦ ، وهو حديث حسن كما أشار الى ذلك المحقق ناصر الدين الألباني - انظر في فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ١٥٤ - الحاشية .

المبحث الأول

بيعتا العقبة الأولى والثانية ،كمقدمة للايواء والنصرة في العهد المدني :

أولا / **بيعة العقبة الأولـــى :**

بعد رجوع أولئك النفر الستة إلى المدينة قابلوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مكة مؤمنين به مصدقين به ،كان لهم أثر ـ كما سبق ـ في انتشار الإسلام بين أهالي المدينة ، حتى جاء العام القادم ، قدم اثنا عشر رجلا منهم إلى مكة ، والتقوا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبايعوه بيعة النســـاء ،أى كما بايع النساء حيث لم يذكر فيها الجهاد ولم يشـــر إليه .

فعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنـــة ، وإن غشيتم من ذلك شـــيئا فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفـــر .(١)

وبعد هذه البيعة أرسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مصعب بن عمير معلما للناس القرآن ، ومشرفا عاما على مسيرة الدعوة هناك ، وإماما للمسلمين ولقد كان اختيار رسول الله له موفقا أيما توفيق ، فهل تعلم من مصعب ابن عمير هذا ؟ إنه ذلك الذى كان أنعم فلام بمكة ، وأجود شبانها حلة وبهاء ، فلما دخل الإسلام طوى كل تلك الرفاهية ، وذاك النعيم ، وانطلق في سبيل الدعوة الإسلامية (٢) ممتثلا لأمر الله وأمر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتجرع كل شدة ، ويستعذب كل عذاب في سبيل دينه تاركا وراءه أمه وما تملك من ثراء فاحش ، لقد انطلق هذا الفتى كأول سفير إلى المدينة ، فنجح أيما نجاح في نشر الإسلام ، وجمع الناس عليه ، واستطاع أن يتخطى الصعاب التي تواجهه ـ دائما ـ في طريق كل نازح غريب يحاول أن ينقل الناس من موروثات ألفوها ، إلى نظام جديد يشمل

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية جـ٢ ص ٧٦ وهو بمعناه في الصحيحين . انظر البخارى ـ الجامع الصحيح جـ٤ ص ٢٥١ . ابن حجر العسقلاني ـ فتح البارى جـ١ ص ٦٠٤ ـ النووى ـ صحيح مسلم بشرح النووى جـ١١ ص ٢٢٢

(٢) د . محمد سعيد رمضان البوطي ـ فقه السيرة ص ١٦٣ .

الحاضر والمستقبل ، ونعيم الإيمان والعمل الصالح ، والخلق والسلوك.[1]

لقد نزل على أسعد بن زراره فكان يتنقل به بين جوانح المدينة يدعو إلى الله ، فكانت جهوده مباركة ، أتت ثمارا طيبة ، فلقد أسلم على يديه أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ ، وهما سيدان من سادات الأنصار ، أسلم بإسلامهما خلق كثير ، فبينما كان أسعد ومصعب جالسين في حائط من حوائط بني ظفر رآهما سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير ، فقال سعد لأسيد (اذهب إلى هذين الرجلين فانههما لا يفسدان علينا أبناءنا ، فإني والله لولا مكان أسعد بن زراره مني حيث قد علمت لكفيتك هذا الأمر . فانطلق أسيد بن حضير إليهما ، فلما أقبل قال أسعد لمصعب هذا أسيد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه قال مصعب إن يجلس أكلمه ، فلما وصلهما أسيد بن حضير قال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ، اعتزلانا إن كان لكما في أنفسكما حاجة ، فقال مصعب أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرا قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره . قال : أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا : والله لعرفنا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم به في إشراقه وتسهله ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر ثوبك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . ثم قال إن من ورائي سيداً من سادات قومه ، سأرسله إليكما الآن ، إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه . فلما وصل إلى سعد وقومه قال سعد والله لقد جاء أسيد بوجه غير الذي ذهب به ، ثم قال له : ما فعلت فيها قال أسيد : لم أر بها بأسا فتركتها . غير أني حُدّثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم علموا أنه ابن خالتك ، فقام سعد فقال والله ما أغنيت عني شيئا فأخذ حربته ثم ذهب إليهما ، فلما أقبل قال أسعد لمصعب أي مصعب جاءك والله سيد من ورائه قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم

---

(١) محمد الغزالي - فقه السيرة ص ١٥٥

اثنان ، فلما وقف عليهما قال متحدثاً لأسعد بن زراره : يا أبا أمامه ، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني ، أتغشانا في دارنا بما نكره ، فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره . قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، لاشراقه وتسهله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين(١) ولقد صدق ظن أسعد بن زراره ابن خالته حينما قال لمصعب إن يتبعك لم يتخلف من قومه اثنان فمنذ أسلم اتجه إلى قومه ومعه أسيد بن حضير فقال لهم :(يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم ، قالوا : سيدنا وأوصلنا ، وأفضلنا رأيا ، وأيمنا نقيبة ؛ قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله(٢)) ، (وفي تأريخ الملوك أنه ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة)(٣) .

وهكذا كان مصعب - رضي الله عنه - نشيطا في عمله في الدعوة إلى الله - عز وجل - لا يألوا جهدا في تبليغ رسالة الله للناس في يثرب وبارك الله في جهوده ، حتى عم الإسلام المدينة ، وبعد حلول الموسم قدم مصعب إلى مكة مع من آمن يرافقهم الحجاج من أهل المدينة من المشركين ليلتقوا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في العقبة لتتم البيعة الكبرى .

---

(١) - تعريف - ابن هشام - السيرة النبوية جـ٢ ص ٧٩ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ابن جرير الطبري - تاريخ الأمم والملوك جـ٢ ص ٣٥٩ .

ثانيا / بيعة العقبة الثانية :

انطلق الوفد حاجا إلى مكة ، وإلى مقابلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصحبهم مصعب بن عمير ، وبعض المؤمنين ، ويقول أحدهم وهو كعب بن مالك - رضي الله عنه - وهو يقص علينا خبر خروجهم إلى مكة ، وخبر بيعة العقبة فيقول :(ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العقبة من أوسط أيام التشريق ، قال : فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لها ومعنا عبد الله بن حرام أبو جابر سيد من سادا تنا وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر إنك سيد من سادا تنا وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عمّا أنت فيه ، أن تكون حطبا للنار غدا ، ثم دعوناه للإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إيانا العقبة ، قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا .

قال : فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا ، نُسيبة بنت كعب (أم عمارة) احدى نساء بني مازن ، وأسماء بنت عدى بن ثابت احدى نساء بني سلمة ، وهي (أم منيع) .

قال : فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب يومئذ وهو على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ، ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج (١) .. إن محمدا منّا حيث قد علمتم في بلده ، وانه أبى إلا انحياز اليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد

---

(١) وهذه التسمية تكون غالبة لأهل المدينة أوسها وخزرجها .

الخروج إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزّة ومنعة من قومه وبلده .

قال : فقلناه له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، قال : فتكلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني ممّا منعتم منه نساءكم وأبناءكم ، قال : فأخذ البراء ابن معرور بيده ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك ممّا نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله - فنحن والله أبناء الحرب، وأهل الحلقة ، ورثناها كابرا عن كابر ، قال : فاعترض القول - والبراء يكلّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو الهيثم بن التيهان فقال : يارسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا ، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم ، وأنتم مني ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم(١)

لقد فهم القوم مدلولات هذه البيعة وإنها تعني الجهاد ومقاتلة الأعداء ، ذلك ما فهمه العباس بن عبادة بن نضله الأنصارى حيث قال لاخوانه الأنصار حين البيعة "" هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذ نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه اليه على نهكة الأموال ، وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة(٢) . . فما كان من جواب الأنصار إلا أن قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فمالنا يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك قال : الجنة ، قالوا : ابسط يدك فبسط يده فبايعوه(٣) .

---

(١) بتصرف انظر كامل قصة البيعة في : ابن هشام - السيرة النبوية جـ٢ ص ٨٢-٨٥ . ابن كثير - السيرة النبوية جـ٢ ص ١٩٤-١٩٧ . البداية والنهاية جـ٣ ص ١٦٣ . ابن سيد الناس - عيون الأثر جـ١ ص ١٦٣-١٦٤ . ابن جرير الطبرى - تاريخ الأمم والملوك جـ٢ ص ٣٦٣ ابن الأثير - الكامل في التاريخ جـ٢ ص ٦٩ علي بن برهان الدين الحلبي - السيرة الجليلة جـ٢ ص ١٧٧

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية جـ٢ ص ٨٥

(٣) المصدر السابق .

كما أن أسعد بن زراره - رضي الله عنه - فهم هذا المعنى وهو أصغر السبعين ، فبادر بالانصار - قومه - يذكرهم بهذا الفهم من البيعة حيث قال : رويدا يا أهل يثرب ، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة ، وقتل خياركم ، وإن تعضكم السيوف ، فإن أنتم قوم تصبرون عليها إذا مستكم بقتل خياركم ، ومفارقة العرب كافة فخذوه وأجركم على الله ، أما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه ، فهو أعذر لكم عند الله ، فقالوا يا أسعد أمط عنا يدك ، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها(١).

فما أن تمت البيعة ووضح الأمر إلا والشيطان اللعين يصرخ بأعلى صوته مفتقرا مما حدث قائلا (يا أهل الجباجب(٢) هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يقول عدو الله هذا أزب العقبة ، هذا ابن أزب ، اسمع عدو الله ، أما والله لافرغن لك ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انفضوا إلى رحالكم(٣) .

فما أن سمع الانصار الابطال عدو الله يتفجر غيظا وغضبا وحقدا وحنقا إلا وتفجروا حماسا للجهاد في سبيل الله ونصرة دينه ، والذود عنه ، ذلك ما قاله العباس بن عبادة بن نضله - رضي الله عنه - (والله الذى بعثك بالحق : إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم)(٤).

يا له من نشاط ، ويا له من حماس للدين ولنصرته يتفجر من هؤلاء الاطهار المؤمنين حقا - رضي الله عنهم ورضوا عنه .

ثم رجع القوم إلى رحالهم ، وناموا بقية ليلهم مع قومهم ، فلم يشعروا القوم الكافرين عما عملوا ، إلا أن الكفار متعاونون فيما بينهم حيث تسرب خبر هذا الإجتماع ، وهذه البيعة إلى كفار قريش ، فهرعوا مسرعين

---

(١) ابن سيد الناس - عيون الاثر جـ١ ص ١٦٤ .

(٢) أى المنازل .

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية جـ٢ص٩٠ . ابن كثير - السيرة النبوية جـ٢ص ٢٠٤ ابن سيد الناس - عيون الاثر جـ١ ص ١٦١ ، ابن جرير الطبرى - تاريخ الامم والملوك جـ٢ ص ٣٦٥ .

(٤) المصدر السابق .

إلى منازل أهل المدينة فقالوا : يامعشر الخزرج ،إنا قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، فانبعث مشركوا القوم يحلفون بالله ما كان من هذا من شيء ، وما علمناه[1] . وذهبوا إلى عبد الله بن أبي سلول لمنزلته فيهم ، وليتوثقوا من الخبر ،فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومي ليتفرقوا على مثل هذا ، وما علمته كان[2]، ثم ركزت الاستخبارات الجاهلية في مكة كل طاقاتها وجنودها للوقوف على صحة الخبر والتأكد منه ، فتبين لهم صحة ذلك ،فما كان منها إلا أن اتقدت غضبا وحنقا فأرسلت الجنود لمطاردة القوم ،ولكنهم - ولله الحمد - قد مضوا إلى بلادهم غير أنهم عثروا على نقيبين منهم - سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، فأما المنذر فقد أعجز القوم هربا ، وأما سعد بن عبادة فقد تمكنت سلطاتهم من القبض عليه وأسره ،فربطوا يديه بنسع رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بشعره ،وكان ذا شعر طويل فهتف باسم جبير بن مطعم ،والحارث بن هشام بعد أن ذكره أحد المشركين آنذاك بهم وهو أبو البختري بن هشام ،ثم جاءا فخلصاه مما هو فيه ،فانطلق إلى بلاده[3] .

هذه هي بيعة العقبة الثانية ، التي تعرف ببيعة العقبة الكبرى ، وقد تمت في جو تعلوه عواطف الحب والولاء والتناصر بين أشتات المؤمنين ، والثقة والشجاعة والاستبسال في هذا السبيل[4] . لقد تمشى هذا في كل كلمة قيلت كما يتضح من هذه البيعة أن العواطف ليست وحدها هي التي توجه الحديث ،أو تملي العهود والمواثيق ،كلا بل إن حساب المستقبل يرجع مع حساب اليوم ، والمغارم المتوقعة تنظر إليها قبل المغانم الموهومة[5] ، ولا بد من أن نعرف هنا أن هذه الطاقة

---

(١) بتصرف - انظر - ابن كثير - البداية والنهاية جـ٣ ص ١٦٤ .
(٢) المصدر السابق ص ١٦٤ .
(٣) المصدر السابق - بتصرف ص ١٦٥ .
(٤) المباركفوري الرحيق المختوم ،ص ١٧٢ .
(٥) محمد الغزالي - فقه السيرة ص ١٦٠ .

الهائلة لم تنطلق من فراغ ، إنما كان لها أساس متين ، ذلك هو القرآن العظيم ، الذى غرس الإيمان في القلوب حتى ثارت بذلك العواطف ـ عواطف الحب المتأججة ـ التي هي جزء من الإيمان نفسه ، جعلت المؤمن من أهل المدينة يحنو على أخيه المؤمن في مكة ، ويتعصب له ، ويغضب من ظالمه ، ويقاتل دونه ، ويجيش في حناياه مشاعر الحب والولاء ، لمن أحبوهم في ذات الله .

ولقد كان لهذه البيعة المباركة نتائجها وآثارها البعيدة في تاريخ الدعوة ، حيث وجد المسلمون لهم مأوى ووطن يقيمون عليه دولة الإسلام الجديدة ، ولعلنا جميعا نتلمس بعض الحكم والدروس والعبر من خلال هذه البيعة :

١) خروج الأنصار حين مضى ثلث الليل واستخفائهم عن قومهم وتسللهم تسلل القطا كل هذا يفيد بأهمية السرية والكتمان في أمور الدعوة إذا كان يخشى عليها من الأعداء ، والأعداء في مكة حريصون على إحباط كل نشاط ، أو عمل يكسب الإسلام عزة ومنعة ، فحين كان يعرض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه على القبائل كان أبو جهل وأبولهب يمشيان خلفه وراء كل قبيلة يخذلان أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

٢) كما أن في قدوم مشركي مكة إلى معسكر أهل المدينة بعد أن تسرب إليهم الخبر ، وكذلك مطاردة المسلمين بعد أن تحققوا من صحة الخبر ، كل ذلك دليل على أن عداء المشركين للمسلمين لم يكن محصورا ضد أبناء بلدهم ، وإنما هو عداء الشرك للإيمان والكفر للتوحيد[1] ، مهما وجد الإيمان ومهما كان المؤمنون به .

٣) كما ظهر بارزا أثر الشباب في الدعوة ، وأنهم يملكون قوة حين يضبطها الإلتزام بخط الإيمان ووضوح سمو الأهداف ، مع توجيهات القيادة الصادقة الملتزمة بتعاليم الإيمان التي هي منهج الجميع ، فحينئذ لن يكون في الطريق عثرات ، فالشباب آنذاك كانوا هم القوة التي أزاح الله بها الباطل ، ولقد سجلت معركة الفرقان أو معركة حاسمة بين الكفر والإيمان حضور واحد وخمسين من الشباب من أصل ثلاثة وسبعين ، فكانت المعركة

---

(١) انظر صالح أحمد الشامي ـ من معين السيرة ص ١٣٦ ط١ المكتب الاسلامي ١٤٠٥ ـ (١٩٨٥) .

مع العلم أنها لم تكن متوقعة ،إلا أنها حملت في طياتها انتصارات حاسمة للإيمان على الكفر ،فما أحوج دعـــــوة الإسلام دائما إلى الشباب ،يمدها بالحيوية والإســتمرار في الطريق ،وما أحوج الشباب إلى القرآن يمدهـــــم بالإيمـــان[1]»

---

(١) تصرف انظر صالح أحمد الشامي ــ من معين السيرة - ص ١٣٩ ٠
ج١ المكتب الاســلامي ١٤٠٥ (١٩٨٥) ٠

المبحث الثاني

مظاهر الايواء والنصرة في المدينة

لقد تمت بيعة العقبة الكبرى - كما سبق - وبالتالي حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه على الهجرة إلى المدينة ، فهاجر المسلمون أرسالا إلى المدينة ، كما هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذلك إلى المدينة ، فكان للأنصار جهود كبيرة في نصرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وايوائه فقبل قدومه كانوا ينتظرونه بغارغ الصبر فيقولون "" لما سمعنا بخروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة ، وتوكفنا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ، فإذا لم نجد ظلا دخلنا ذلك في أيام حارة ، حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود ، وقد كان رأى ما كنا نصنع ، وإنا ننتظر قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصرخ بأعلى صوته ، يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء ، قال : فخرجنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في ظل نخلة ، ومعه أبوبكر - رضى الله عنه - في مثل سنة وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل ذلك ، وركبه الناس ، وما يعرفونه من أبي بكر حتى نزل الظل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقام أبوبكر فأظله برداءه ، فعرفناه عند ذلك[1] ، وقال أنس بن مالك - رضي الله عنه - "" إني لأسعى في الغلمان يقولون جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئا ، ثم يقولون جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئا قال : حتى جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه أبوبكر ، فكنا في بعض خراب المدينة ، ثم بعثا رجلا من أهل المدينة يؤذن بهما الأنصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار : انطلقا آمنين مطاعين ، فأقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق لفوق البيوت يترائين ويقلن أيهم هو ، أيهم هو ؟ فما رأينا منظرا شبيها به ،

---

(١) ابن هشام - السيرة النبوية جـ٢ ص ١٣٧ ، ابن سيد الناس = عيون الأثر جـ١ ص ١٨٩ . ابن كثير - البداية والنهاية جـ٣ ص ١٩٦ . ابن القيم زاد المعاد جـ٣ ص ٥٨ . مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الاسلامية ١٣٩٩ (١٩٧٩) ت/ شعيب الأرناؤوط ، وعبد القادر الأرناؤوط

قال أنس : ولقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض ، فلم أر يومين شبيها بهما[1].

فلقد استقبلت المدينة ممثلة في أهلها محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن الاستقبال ، وكان مهرجانا من أعظم المهرجانات ، تردد ت فيه الأناشيد الإسلامية ، يقول أبوبكر - رضي الله عنه - يصف جزءا من الاستقبال : (وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت الغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله . . الله أكبر جاء محمد . . الله أكبر جاء محمد . . الله أكبر جاء رسول الله . . ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما تقول عائشة - رضي الله عنها يوم قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعل النساء والصبيان يقولون :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع[2]
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع »

لم يكن هذا الفرح وهذا الاستبشار بقدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أهل المدينة مجرد عاطفة باللسان فقط ، بل تعداه إلى أن كان واقعا عمليا في النصرة والإيثار ، وتقديم كل ما يملكون ، فلما ركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخرج من قباء وسار ، سار الناس معه ، ما بين ماش وراكب ، ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حرصا على كرامة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتعظيما له ، فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا قالوا : « هلم يا رسول الله إلى العدد والعدة والمنعة ، فيقول : خلوا سبيلها فإنها مأمورة[3] » ، فانطلقت حتى نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - فأكرمه وبالغ في إكرامه .

---

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ، جـ٣ ص ١٩٧ .
الحلبي - السيرة الحلبية جـ٢ ص ٢٤٠ .
انظر - الحافظ الكبير أبو نعيم الأصبهاني - دلائل النبوة جـ٢ ص ٤٢٧
مطابع المكتبة العربية - نشر دار ابن كثير، دمشق - بيروت
مكتبة التراث الاسلامي - حلب - خرج أحاديثه عبد البر عباس تحقيق
محمد رواس قلعة جي الطبعة الاولى ١٣٩٢ (١٩٧٢) .

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية - جـ٣ ص ١٩٧ ، الحلبي - السيرة الحلبية جـ٢ ص ٢٣٥ .

(٣) ابن الأثير - الكامل في التاريخ جـ٢ ص ٧٦ ، الحلبي - السيرة الحلبية جـ٢ ص ٢٤٠ .

روى ابن اسحاق عن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال : "لمّا نزل علىّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بيتي نزل في السفلى ، وأنا وأم أيوب في العلو ، فقلنا له : يا نبي الله بأبي أنت وأمي ، اني لاكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فاظهر أنت وكن في العلو ، وننزل نحن ونكون في السفل فقال : يا أبا أيوب ان أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت ، قال : فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سفله وكنا فوقه في المسكن ، فلقد انكسرت جب لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بلحاف ما لنا غيرها ننشف بها الماء ، تخوفا من أن يقطر على رأس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منه شيء فيؤذيه"[1] .

وبعدها كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في علو البيت ، ونزل أبو أيوب في أسفله فأخذت هدايا الوائد تتوافد على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إكراما له .

روى عن زيد بن ثابت أنه قال : "لمّا نزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أبي أيوب لم يدخل منزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هدية أول من هدية دخلت بها عليه قصعة مثرودة ، خبز بر وسمنا ولبنا فأضعها بين يديه فقلت: يا رسول الله أرسلت بهذه القصعة أمي ، فقال : بارك الله فيها ، ودعا أصحابه فأكلوا ، فلم أرم الباب حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة على رأس غلام مغطاة ، فأقف على باب أبي أيوب فأكشف غطاءها لانظر ، فرأيت ثريدا عليه عراق فدخل بها على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال زيد ، فقد كنا في بني مالك ابن النجار ما من ليلة إلا على باب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منّا الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ، ويتناوبون بينهم ، حتى تحول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بيت أبي أيوب ، وكان مقامه فيه سبعة أشهر ، وما كانت تخطئه جفنة سعد بن عبادة ، وجفنة أسعد بن زرارة كل ليلة[2] ، ولم يكن تكريم الأنصار لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم مقصورا في نواحي معينة ، كتقديم الوائد ، بل تعدّاه إلى الإيثار في الأراضي والعقار ، فوهبوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل فضل في خططها ، وقالوا له "" إن شئت فخذ منّا منازلنا ، فقال لهم خيرا ، وخط لأصحابه في كل أرض ليست لأحد ، وفيما وهبت الأنصار من خططها"[3] .

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية جـ٢ ص ١٤٤ . نورالدين علي السمهودي ـ وفاء الوفاء ـ جـ١ ص ٢٦٤ . ط دار احياء التراث العربي ـ بيروت لبنان ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . أبونعيم الاصبهاني جـ ٢ ص ٤٢٧ . الدلائل

(٢) السمهودي ـ وفاء الوفاء جـ١ ص ٢٦٦ .

(٣) أحمد بن يحيى ـ المعروف بالبلاذري ـ أنساب الاشراف جـ١ ص ٢٧٠ أخرجه معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ١٩٥٩ تـ د . محمد حميد الله .

كما أن من مظاهر الايواء والنصرة في العهد المدني الاخوة بين المسلمين من المهاجرين والانصار ، فآخى بينهم وقال عليه الصلاة والسلام : تآخوا في الله أخوين أخوين . وكانت هذه المؤاخاة بعد قدومه - صلى الله عليه وسلم - المدينة بخمسة أشهر ، وقيل ثمانية ، وهو يبني المسجد ، وقيل بعده وقيل قبله[1]» كما أن الغرض من « هذه المؤاخاة ذهاب وحشة الغربة ، ومفارقة الأهل والعشيرة ، وشد أزر بعضهم ببعض[2] ، كما أن الغرض كذلك من هذه المؤاخاة - كما يقول الغزالي - هو أن تذوب عصبيات الجاهلية ، فلا حمية في الإسلام ، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن ، فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه ، وقد جعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذه الأخوة عقدا نافذا لا لفظا فارغا ، وعملا يرتبط بالدماء والأموال ، لا تحية تثرثر بها الألسنة ، ولا يقوم لها أثر ، وكانت عواطف الإيثار والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة ، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال[3] ، بل لقد كان في أول الأمر التوارث بينهم بحكم هذه الأخوة التي رتبها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم نسخت التوارث بعد بدر .

روى البخاري - رحمه الله - في الجامع الصحيح « عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : ولكل جعلنا موالي . قال ورثه والذين عقدت أيمانكم .

كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي عقدها النبي - صلى الله عليه وسلم - فيهم ، فلما نزلت ((ولكل جعلنا موالي)) نسخت .. ثم قال (والذين عقدت أيمانكم) من النصرة والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له »[4] أما حال الأنصار ونصرتهم تجاه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المهاجرين فيذكر الواقدي - رحمه الله - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لما تحول من بني عمرو بن عوف إلى المدينة

---

(١) ابن هشام - السيرة النبوية جـ٢ ص ١٥٠ .
(٢) الحلبي - السيرة الحلبية جـ٢ ص ٢٩٥
(٣) محمد الغزالي - فقه السيرة ص ١٩٢ .
(٤) الامام البخاري - الجامع الصحيح - جـ٥ ص ١٧٨ ، انظر محمد علي الشوكاني فتح القدير - جـ١ ص ٤٦٠ ط . دار المعرفة - بيروت - لبنان .

تحول أصحابه من المهاجرين ، فتنافست فيهم الأنصار أن ينزلوا عليهم ، حتى اقترعوا فيهم بالسهمان ، فما نزل أحد منهم على أحد إلا بقرعة سهم (١)» ، فياله من ايثار ، ويالها من تضحيات . يصوره الاستاذ سيد قطب في الظلال فيقول : «لم يعرف تاريخ البشرية كلّه حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين ، بهذا الحب الكريم ، وبهذا البذل السخي ، وبهذه المشاركة الرضية ، وبهذا التسابق إلى الايواء واحتمال الاعباء ، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصارى إلا بقرعة ، لأنّ عدد الراغبين في الايواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين (٢)» ، قال تعالى مثنيا على الانصار لما صنعوا باخوانهم المهاجرين : ((والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة ممّا أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٣))) .

ولقد تجلت صور كثيرة من الإيثار ، إيثار الأنصار لإخوانهم المهاجرين وهي من أروع الأمثلة التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية بشكلها الجماعي ، " ولما غنم المسلمون الأموال من بني النضير دعا الأنصار ، وذكر لهم صنيعهم بالمهاجرين وما قدموه من خدمة جليلة لهم ، ثم قال لهم : «إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ممّا أفاء الله على بني النضير ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم ، وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم .

فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ - رضي الله عنهما - فقالا : يارسول الله : بل تقسمه للمهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الأنصار رضينا وسلمنا يا رسول الله ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، فقسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ممّا أفاء الله عليه وأعطى المهاجرين ، ولم يعط أحدا من الأنصار من ذلك الفيء شيئا إلا رجلين كانا محتاجين (٤)»

---

(١) الواقدى ـ المغازى جـ١ ص ٣٧٨ .
(٢) سيد قطب ـ ظلال القرآن جـ٦ ص ٣٥٢٦ ط . دار الشروق - بيروت لبنان ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) .
(٣) الحشر - آية ٩
(٤) الواقدى - المغازى جـ١ ص ٣٧٩ .

ومن الأمثلة كذلك أن أحدهم آثر ضيف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على نفسه وأبنائه ، وبات الجميع جائعين ، وشبع ضيف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

روى البخارى في صحيحه «أن رجلا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فبعث إلى نسائه فقلن ما معنا إلا الماء ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من يضم أو يضيف هذا ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا ، فانطلق إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني ، فقال : هيئي طعامك وأصبحي سراجك ، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ضحك الله أو عجب من فعالكما ، فأنزل الله "" ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة "" (١) .

وهكذا كان الأنصار يسارعون في ايواء المهاجرين إليهم من إخوانهم ويؤثرونهم على أنفسهم وعلى ذويهم حتى لقد خشي المهاجرون من ذهاب أجرهم فعرضوا الأمر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : «ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . قال : لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم "" (٢) .

فاستمر إيثارهم للمهاجرين وازداد مصحوبا بالنية الصالحة (إن شاء الله) وكما قابل المهاجرون إيثار اخوانهم وسماحتهم بتقدير كسامل وسماحة مماثلة رافضين منذ البدء أن يكونوا اتكاليين على إخوانهم وعالة على أولئك الذين آووهم وقاسموهم ، وليست قصة عبد الرحمن بن عوف مع أخيه الأنصارى سعد بن الربيع سوى مثل من واحد من الأمثلة الرائعة على هذا التقابل الأخوى العادل في الأخذ والعطاء (٣) والإيثار ، وعزة النفس المؤمنة .

---

(١) البخارى - الجامع الصحيح جـ ص .

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٣٣٧ ط. دار احياء الكتب العربية وهو عند ابي داود في السنن جـ ٤ ص ٢٥٥ حديث رقم ٤٨١٢

نشرته دار احياء السنة النبوية راجعه وعلق عليه / محمد محي الدين عبد الحميد

(٣) دكتور / عماد الدين خليل - دراسات في السيرة ص ١٥٤ .

روى البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ في الجامع الصحيح : «أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، قال لعبد الرحمن إني أكثر الأنصار مالا ، فسأقسم مالي نصفين ، ولي امرأتان فانظر أعجبها اليك فسمها لي أطلقها ، فاذا انقضت عدتها فتزوجها ، قال : بارك الله لك في أهلك ومالك ، أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من اقط وسمن ، ثم تابع الغدو ، ثم جاء يوما وبه أثر صفرة ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَهْيَم . قال : تزوجت قال كم سقت ؟ قال : نواه من ذهب أو وزن نواة من ذهب»[1].

هذا وقد ظل الصحابة ملتزمين بهذه الاخوة ، ملتزمين بها كما حدث لبلال ـ رضي الله عنه .

« فلما دوّن عمر بن الخطاب الدواوين بالشام وكان بلال قد خرج إلى الشام فأقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال ، إلى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال مع أبي رويحة ، لا أفارقه أبدا للأخوة التي كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عقد بينه وبيني »[2].

---

(١) البخارى ـ الجامع الصحيح جـ٤ ص٢٢٢ .

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية جـ٢ ص ١٥٣ .

الفصل الثالث

دور الإيواء والنصرة فى مقاومة الأعداء

استقر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى المدينة فكان الإيواء وكانت النصرة من الأحباب الأنصار فكان لذلك الإيواء وتلك النصرة أثر كبير فى مقاومة الأعداء سواء فى داخل المدينة كاليهود والمنافقين ، أو من خارج المدينة التى تمثلت فى الحروب العسكرية ضد الأعداء . لهذا انقسم هذا الفصل إلى مبحثين كذلك ، أما أحدهما فيتحدث عن أثر الإيواء والنصرة فى مقاومة الأعداء من الداخل ، وأما الآخر فهو يتحدث عن أثرهما فى مقاومة الأعداء من خارج المدينة .

المبحث الأول : أثرهما فى مقاومة الأعداء من الداخل

بعد أن أستقر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون فى المدينة وقامت دولة الإسلام وجد بالمدينة عدوان للإسلام خطيران هما : اليهود والمنافقون .

أما المنافقون فخطرهم عظيم على الإسلام والمسلمين حيث يلسعون بعدائهم وهمزهم ولمزهم الإسلام لسع العقارب والثعابين فى ظلمات الليل الحالكة السواد ، ذلك لأنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن)(١) والمقصود بشياطينهم بدون شك اليهود فهم بهذا يمثلون - أعني اليهود والمنافقين - كتلة واحدة مجتمعة لضرب الإسلام والمسلمين فى كل زمان ومكان .

واليهود هم الذين قال الله فيهم (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ..... الآية)(٢) كما بين الله سبحانه عنهم أنهم لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبعوا ملتهم (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)(٣) .

واليهود بالطبع أعرف من غيرهم برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولكن حملهم الحسد على نبذ ما جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) سورة البقرة ١٤
(٢) ،، المائدة ٨٢
(٣) ،، البقرة ١٢٠

من الهدى والنور فلم يؤمنوا به ولم يصدقوه إلا قليلا منهم ، والأدلة التاريخية كثيرة فالتاريخ يسجل لهم من العداوة والمحاربة للإسلام ما لا يمكن حصره فى مثل هذه المقدمة ، ولكن الهدف هو بيان أن المسلمين مهاجرين وأنصاراً اتحدوا على مقاومة القوتين اللتين فى داخل المدينة وكسر شوكتهما وكذلك القوى الكثيرة فى خارج المدينة كما سيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى .. كل هذا من آثار تلك النصرة المباركة التي حاز الأنصار بفضلها رضوان الله تعالى لحماية رسوله صلى الله عليه وسلم إن المتتبع لسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - يجدها تزخر بالوقفات الرائعة التى تسجل للمسلمين النصرة والإيواء لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضد العدوان الداخلي والخارجي على السواء .

فمن النصرة ضد العدو من الداخل عندما اتجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم لقتال المشركين فى أحد (إنخزل عبدالله بن أبي سلول بثلث الناس ، وقال اطاعهم وعصاني ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب(١) وكان هو الذى أشار عليه بالبقاء فى المدينة وعدم الخروج إلى العدو .

فانخزل لهذا السبب فأحدثت فجوة عنيفة فى جيش المسلمين حركت عواطف المخلصين حيث لحق بهم عبدالله بن عمرو بن حزام - أخو بني سلمه - يقول يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ، فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكن لا نرى أنه يكون قتال ، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنه ، قال لهم : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه (١) فكان عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين من أخطر الأعداء .

- فبعد هذه الغزوة لم يكن له قدر ولا مكانة عندهم " كان لعبدالله ابن أبي مقام يقومه كل جمعة شرفا له لا يتركه ، فلما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أحد إلى المدينة جلس على المنبر يوم الجمعة ، فقام ابن أبى فقال هذا رسول الله بين أظهركم قد أكرمكم الله به انصروه وأطيعوه ، فلما صنع بأحد ما صنع قام ليفعل ذلك ، فقام إليه المسلمون فقالوا : أجلس يا عدو الله ! وقام اليه أبو أيوب وعباده بن الصامت وكانا أشد من كان عليه ممن حضر فلم يقم إليه أحد من

---

١ - ابن هشام - السيره النبويه - جـ ٢ ص ٦٨ ، والواقدى - المغازى جـ ١ ص ٢١٩

٢ - انظر ابن اثير - الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص ١٠٥ ، ابن كثير - البداية والنهاية جـ ٤ ص ١٤ .

المهاجرين ، فجعل أبو أيوب يأخذ بلحيته وعبادة بن الصامت يدفع في رقبته ويقولان له لست لهذا المقام بأهل فخن وهو يتخطى رقاب الناس وهو يقول : كأنما قلت هجرا (١) فكانت تصرفاته وحركاته تنبيء بالعداء للإسلام ومع ذلك كان رسول الله صلى الله عليه رحيمًا رفيقاً يرفق به ويتغاضى عنه بل ويتنازل له ويحترمه " فحين قدم عليه الصلاة والسلام المدينة " قيل له لو أتيت عبدالله بن أبي تتألفه ليكون ذلك سبب في إسلامه فانطلق النبي - صلى الله عليه وسلم - وركب حماراً ، وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إليك عني ، والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطيب ريحاً منك "(٢)

وفي أثناء ذهاب المسلمين إلى أحد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بحائط مربع بن قيظي ، وكان أعمى البصر منافقا ، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم وأصحابه حائطه قام يحثي التراب في وجوههم ويقول إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي ، وأخذ حفنة من تراب في يده وقال : لو أعلم أني لا أصيب غيرك لضربت به وجهك (٣) " فابتدره سعد بن زيد الأشهلي بقوس في يده فشجه في رأسه فنزل الدم " فلما تحرك بعض بني حارثه من هو على مثل رأي ذلك الأعمى قائلا هي عداوتكم يا بني عبد الأشهل لا تدعونها أبدا " جاءت النصرة من رجل أنصاري آخر ذلك هو أسيد بن حضير حيث قال : " لا والله ولكنه نفاقكم ، والله لولا أني لا أدري ما يوافق النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذلك لضربت عنقه وعنق من هو على مثل رأيه "(٤) وهكذا يحاول المنافقون خلق الفتن وتحقيق أهدافهم وغيظهم كلما سنحت لهم الفرصة بذلك ، وفي غزوة بني المصطلق حدث نزاع بين غلامين مهاجري وأنصاري ، فاستغاث كل واحد منهما بقومه ، فالمهاجري يقول يا للمهاجرين والأنصاري ينادي بالأنصار ، فتحرك نفاق ابن أبي حيث غضب وقال : " أوقد فعلوها ؟ قد كاثرونا في بلادنا أما والله (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم ببلادكم

---

(١) الواقدي - المغازي جـ ١ ص ٢١٨ ، من كثير البداية والنهاية جـ ٤ ص ٥١
(٢) علي بن برهان الدين الحلبي - السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٢٥٠
(٣) الكامل في التاريخ من الاثير جـ ٢ ص ١٠٥
(٤) الواقدي - المغازي جـ ١ ص ٢٠٨ عن الاثير الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ١٠٥

وقاسمتموهم أموالكم والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير بلادكم (١)

فسمع هذا الكلام الوقح زيد بن أرقم وهو غلام صغير فذهب مسرعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم - ليخبره الخبر فجاء أبي يحلف بالله ما قال ثم نزلت الآيات من سورة المنافقون تؤيد كما قاله ذلك الغلام، والنصرة في هذه الحادثة تبدوا في عدة أمور : منها تحرك عاطفة ذلك الشاب الصغير وتألمه بما سمع حيث أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم - بذلك ولم يسكت على الباطل ، كذلك تبدو النصرة من ابن هذا المنافق وهو عبدالله بن عبدالله بن أبي سلول حيث جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع بالخبر ليبدي استعداده لقتل أبيه إن كان آمرا أحدا بذلك حيث قال : " يارسول الله بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه ، فان كنت لا بد فاعلا فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها رجل أبر بوالده مني ، واني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل رجلا مؤمنا بكافر ، فادخل النار فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا " (٢) .

لقد أدرك الولد البار بابيه خطر هذا الوالد على الإسلام والمسلمين حين بلغ الوقاحة وقلة الأدب ما جعله يفكر في قتل والده لو سمح له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذلك بل إنه حين رجوع المسلمين من تلك الغزوة وقف عبدالله ابن عبدالله بن أبي سلول على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء عبدالله بن أبي قال له ابنه وراءك : فقال : مالك : ويلك ؟ فقال والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم فإنه العزيز وأنت الذليل ، فلما جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان إنما يسير ساقة فشكا إليه عبدالله بن أبي ابنه فقال ابنه عبدالله والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية جـ ٣ ص ٣٠٣ من الاثير الكامل في التاريخ جـ٢ ص ١٣٢ وقضاه البخاري - الجامع الصحيح جـ ٦ ص ٦٦ باب قوله (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ... وباب قوله (يقولون لئن رجعنا الى المدينة.) الآية

(٢) ابن هشام السيرة النبوية جـ ٣ ص ٣٠٥ ، الواقدي - المغازي جـ ٢ ص ٤٢١

أما إذ. أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم - فجز الآن [١]" هذه نماذج فريدة من نوعها فى تأريخ البشرية كله لنصرة أعظم نبي لأعظم دين ، فلقد قام بعض المنافقين بكل ما أوتوا وحاربوهم وفضحوهم ذلك أن من طبيعة المنافقين الهمز واللمز والإستهزاء والسخرية بالمسلمين والإسلام " اجتمع يوما فى المسجد منهم ناس فرآهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض - فأمر بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا - فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس - أحد بنى غَنْم بن مالك ابن النجار ، فأخذ برجله فسحبه ، حتى أخرجه من المسجد وهو يقول : أتخرجنى يا أبا أيوب من مسربد بنى ثعلبه . . ثم أقبل أبو أيوب أيضا إلى رافع بن وديعه أحد بنى النجار - فلببه بردائه ثم نثره نثرا شديدا ولطم وجهه ثم أخرجه من المسجد ، وأبو أيوب يقول له أف لك منافقا خبيثا أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو وكان رجلا طويل اللحية ، فأخذ بلحيته فقاده بها قودا عنيفا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه فلدمه بها فى صدره لدمة عظيمة خر منها وهو يقول خدشتني يا عمارة ، قال : أبعدك الله يا منافق فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم "[٢] الله أكبر شباب وجنود مخلصون قد طهروا أنفسهم من شهوات الدنيا وأخلصوا حبهم لنبيهم ولدينهم ، بهم والله عز الإسلام وبهم قامة دولة الإسلام وبأمثالهم يعز الإسلام والمسلمين فى كل زمان ومكان إنهم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منارات هدى ومشعل نور يضيء للسالكين درب العقيدة والدعوة إلى الله عز وجل لقد بلغ حبهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - آفاقاً بعيدة عظيمة يعجز عن تصوره البشر العاديون الذين لم يعيشوا فى كنف هذين ذلك مما جعل أبوسفيان يندهش من كلمة زيد بن الدَّثِنَة حين أراد المشركون قتله حينما قال له أبو سفيان "أنشدك يا زيد أتحب أن محمدا الآن فى مكانك تضرب عنقه وأنت فى أهلك قال :

---

(١) ذكره ابن كثير - رحمة الله فى التفسير عن عكرمه وابن زيد جـ ٤ ص ٣٧٢

(٢) ابن هشام السيره النبوية جـ ٢ ص ١٧٥ ، ١٧٦ من الاثير الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص ١٠٥

والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنـــي جالس فى أهلي[١] فما تمالك نفسه أبو سفيان حيث نطق بشهادة الحق فقـــال : " ما رأيت من الناس أحدا يحب محمدا كحب أصحاب محمد محمـدا[٢] وحسن الظـن وطهارة القلب صفات تلازم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما حصـل ما حصل من خير الإفـك على عائشة الصديقة بنت الصديق - رضى الله عنهـا - وظهر نفاق المنافقين وتورط فيها بعض المسلمين كذلك كان حسن الظن يبدو من أم أيوب وزوجها أبى أيوب حيث قالت " يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشـة قال : بلى ، وذلك لكذب . . أكنت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت لا والله ما كنت لأفعلـه قال : فعائشه والله خير منك " (٣) .

وكما كان للإيواء والنصرة أثر فى مقاومة المنافقين كذلك كان له أثر فى مقاومـة اليهود - داخل المدينة " قدمت امرأه من العرب بجلب لها فباعته بسوق بنـي قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت . فعمـد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها . فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكـوا بها - فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا (٤)" فهـذه الصورة ، وهذا التصرف البشع من ذلك اليهودى يصور المدى الذى وصلت إليـه خسة ونذالة هؤلاء اليهود حيث تعرضوا لامرأة حرة يريدون كشف وجهها وبعـد امتناعها يكشفون عن سوأتها فهم بهذا يشكلون خطرا يهدد أمن المدينة والدولـة الجديدة لذا قرر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل من اشتد أذاه منهم فقال : "من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصه بن مسعود على ابن سنينـه رجل من تجار يهود - وكان يلابسهم ويبايعهم - فقتله ، وكان حويصه بن مسعـود إذ ذاك لم يسلم ، وكان أسن من محيصه ، فلما قتله جعل حويصه يضربه ويقـول أي عدو الله ، أقتلته ، أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله " (٥) فقال عندهـا كلمة أدهشت حويصة هذا ، جعلته يسلم لله رب العالمين حين قال له محيصـه :

---

(١) ابن هشام - السيره النبويه جـ ٣ ص ١٨١ الواقدى ، المغازى جـ ١ ص ٣٦٢
(٢) المصـدر السابـق .
(٣) ابن هشام - السيره النبويه جـ ٣ ص ٣١٥ - الواقدى ، المغازى جـ ٢ ص ٤٢٤
(٤) " " " " جـ ٣ ص ٥١ - " " جـ ١ ص ١٧٦
(٥) " " " " جـ ٣ ص ٦٣ " " جـ ١ ص ١٩٢

والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك ؟ قال : آو الله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني ؟ قال : نعم والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها .. قال : والله إن دينا بلغ بك هذا لعجب - فأسلم حويصه وكانت سببا لإسلامه (١)

نعم والله إن دينا بلغ بجنوده إلى هذه الدرجة من الطاعة والإخلاص لحقيق أن ينتصر على من عاداه ولحقيق أن يقود البشرية إلى شاطيء الأمان فهي حسن القيادة وحسن الطاعة المخلصة من الجنود .

بعد انتصار المسلمين في بدر وجاء البشير إلى المدينة بالخبر لم يرضى كعب بن الاشرف اليهودي هذا الخبر فاعتقد عدم صحته ، فلما تيقن عدو الله الخبر ذهب إلى قريش ينشد الشعر في القتلي ويحرضهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم - والمسلمين ، ولم يكتف بذلك عدو الله بل انه رجع إلى المدينة فآذى المسلمين في نسائهم حينذاك قال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم " من لي بابن الأشرف ؟ فقال محمد بن مسلمه أنا يا رسول الله فقتله بخطة محكمة مع بعض أصحابه أفزعت اليهود حتى لا يوجد يهودي إلا وهو يخاف على نفسه (٢) ومن أثر النصرة في مقاومة اليهود كذلك قول سعد ابن معاذ - رضي الله عنه - في بني قريضه حين حاصرهم المصطفى صلى الله عليه وسلم - حيث قال " لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم " ثم بعد (٣) ذلك أصدر حكمه فيهم فقال : " فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبي الذراري والنساء (٤) فأقره رسول الله - صلى الله عليه وسلم على هذا الحكم فقال : " لقد حكم فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعه (٤) ذلك لأنهم خانوا الله ورسوله وعادوه ولم يؤمنوا به ولم يدخلوا في دين الله عز وجل فلم يكن لهم الا القتل وكانوا قد أبوا الدخول في الإسلام حسدا كما قال الله عنهم " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين " (٥) كما أخبر عنهم سبحانه أنهم لو آمنوا لكان خيرا لهم " ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون " (٦) ولكن العداوة متأصلة في أنفسهم

---

(١) ابن هشام السيره النبوية جـ ٣ ص ٦٢ - الواقدي - المغازي جـ١ ص ١٩٢

(٢) انظر القصة بطولها بسيرة هشام السيره - النبويه جـ ٣ ص ٥٤ - ٦١

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٠

(٤) المصدر السابق ص ٢٥١

(٥) البقره ٨٩

(٦) " ١٠٣

قد جبلوا عليها فحسدوا المسلمين على هذا الدين " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما "(١) بل كان هدفهم رد المسلمين عن دينهم وصدهم عنه " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير "(٢) بل إن رضاءهم عن المسلمين مرتبط ارتباطا وثيقا لتركهم لدينهم " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم "(٣)

وصورة يسجلها التاريخ تصور مدى ما وصلت إليه عداوتهم تصدر من أحد كبارهم وهو مقدم للقتل ذلكم هو حيي بن أخطب حيث قتل مع بني قريظة فقال حينذاك حينما نظر إلى وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل "(٤) فهذه صورة نقدمها لشباب المسلمين وشيوخهم الذين يحسنون الظن في هؤلاء اليهود ويبحثون عن السلام معهم " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد "(٥)

أعود مرة أخرى إلى أثر النصرة في مقاومة اليهود من داخل المدينة فأذكر تنافس الأنصار في ذلك ، فلما قتلت الأوس كعب بن الأشرف قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام "

" ثم تذكروا من رجل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في العداوة كابن الأشرف ، فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر فأستاذنوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قتله فاذن لهم . "(٦)

---

(١) النساء ٥٤
(٢) البقرة ١٠٩
(٣) " ١٢٠
(٤) من هشام - السيرة النبوية جـ ٣ ص ٢٥٢
(٥) ق ٣٧
(٦) انظر كامل القصة " هشام السيرة النبوية جـ ٣ ص ٢٨٦ - ٢٨٩

المبحث الثاني : أثر الإيواء والنصرة فى مقاومة الأعداء من الخارج

وكما كان للإيواء والنصرة دور وأثر فى مقاومة الأعداء من الداخل كان كذلك لهما أثر فى مقاومة الأعداء من خارج المدينة فلم تعد النصرة قاصرة على داخل المدينة بل تعداه إلى خارجها .

ففى معركة بدر العظمى فى يوم الفرقان يوم التقي الجمعان حينما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمسلمين يريد عير أبى سفيان ولكنها إرادة الله عز وجل " ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون "(١) حيث فلت أبو سفيان بتجارته وخرجت قريش بجيشها لقتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما كان الأمر كذلك عزم عليه الصلاة والسلام على قتال القوم وأحب أن يستأنس بآراء أصحابه وخاصة الأنصار ذلك أنهم فى البيعة العظمي حين بايعوه قالوا له : يارسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا فتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا لمن دهمه بالمدينة ، وأنه ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم حين ذلك قال : أشيروا علي أيها الناس ، فقام أبوبكر فقال وأحسن ثم قام عمر فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمر فقال : يا رسول الله أمض لما أراك الله ، فنحن معك والله لا نقول كما قالت بنواسرائيل لموسي اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هيهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه "(٢) ثم دعا له رسول الله - صلى الله عليه وسلم وقال : له : خير : ثم كرر كلمته الأولي " أشيروا علي أيها الناس " فقال سعد بن معاذ رضى الله عنه - لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال أجل ؛ قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء ولعل الله

---

(١) الانفال ٧ ، ٨

(٢) من كثير - البدايه والنهاية - جـ٣ ص ٢٦٣

يريك منا ما تقربه عينك فسر بنا على بركة الله "(١) فخرجت هذه الكلمات الصادقة من قلب صادق لتدخل السرور على قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، بل لقد نشطه ذلك حيث قال سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم "(١) وابن معاذ هذا رضي الله عنه هو الذي يقترح بناء عريش لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليستريح فيه وحتى لا يصله الأعداء بسوء فهو يقول " يا نبي الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام - يا نبي الله - ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ، ويجاهدون معك " (٢) .

لقد وقعت النصرة بكل ما تحمل من معنى في هذه الغزوة فجاهد المسلمون وصبروا حتى انتصروا على عدوهم ولا ننسى ما فعل عمير بن الحمام حينما ألقى التمرات التي في يده وقال إنها لحياة طويلة إن عشت حتى آكل هذه التمرات فقاتل حتى قتل .

هذه بعض الحوادث التي وقعت في معركة بدر العظمى ، أما أحد فإن المشركين لما أجمعوا المسير إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم ذو عدد كبير وعدة ، كتب العباس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتابا يخبره الخبر وأرسله مع رجل من غفار ، فلما وصل ذلك الرجل المدينة لم يجده فيها فوجده في قباء ، ثم ذهب إليه وأعطاه كتاب العباس - فقرأه عليه أبي بن كعب ثم دخل في منزل سعد بن الربيع ، فقال : في البيت أحد ، فقال سعد لا تتكلم بحاجتك ، فأخبره بكتاب العباس بن عبد المطلب ، فجعل سعد يقول خيرا فانصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - راجعا إلى المدينة - ودخلت على سعد زوجته ، فقالت له : ماذا قال لك رسول الله ، فقال : مالكِ ولذلك لا أم لك ، قالت قد كنت أسمع عليك وأخبرت سعد الخبر ، ثم استرجع سعد

---

(١) ابن هشام السيره النبويه جـ ٢ ص ٢٦٧ ، الواقدى - المغازى جـ ١ ص ٤٩ ، ابن كثير - البدايه والنهاية جـ ٣ ص ٢٦٣

(٢) ابن هشام السيره النبويه جـ ٢ ص ٢٧٢ ، الواقدى - المغازى جـ ١ ص ٤٩

وقال : لا أراك مستعين علينا ، وأنا أقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - تكلم بحاجتك.بل إنه لم يكتف بهذا - رضي الله عنه - فقد أخذ بجمع لبتها ثم خرج يعدو بها حتى أدرك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجسر وقد بلحت (أى أنقطعت من الإعياء فلم تقدر أن تتحرك) فقال : يا رسول الله : إن امرأتي سألتني عما قلت فكتمتها فقالت : قد سمعت قول رسول الله : فجاءت بالحديث كله فخشيت يا رسول الله أن يظهر من ذلك شيء فتظن أني أفشيت سرك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : خل سبيلها" (١)

وفى هذه الغزوة أبدع المسلمون فى الجهاد فى سبيل الله وحدث الأعاجيب والتضحيات بالنفس والنفيس ، لقد تسابق المسلمون للنصرة والذب عن الدين حتى الشباب الصغار تجدهم يحترقون ألماً حين ردهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن هذه الغزوة فقد عُرض على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غلمان : عبدالله بن عمر - وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن أرقم ، والبراء بن عازب ، وأسيد بن ظهير ، وقرابة ابن أويس ، وأبو سعيد الخدرى ، وسمرة بن جندب ، ورافع بن خديج ، فردهم قال رافع بن خديج ، فقال ظهير بن رافع : يا رسول الله إنه رام وجعلت أتطاول على خفان لي فأجازني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أجازني قال سمرة بن جندب لربيبه مرى بن سنان الحارثى ، وهو زوج أمه : يا أبه أجاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رافع بن خديج وردني ، وأنا أصرع رافع ابن خديج فقال : مرى بن سنان الحارثي يا رسول الله رددت ابني وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تصارعا : فصرع سمرة رافعا فأجازه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٢) يا لها من منافسة شريفة لغاية نبيلة إنه الصراع لأجل الدخول فى الجيش ولأجل ملاقاة العدو.إنها التربية الحسنة ليس إلا . فهم أطفال صغار لم يبلغ أحدهم سن العاشرة من عمره يضيق صدره حين لا يُقبل مع الجيش إنها حوادث تعلمنا كيف انتصروا وكيف نشروا الدين فى هذه الفترة القصيرة .

---

(١) الواقدى - المغازى : جـ ١ ص ٢٠٥

(٢) الواقدى - المغازى : جـ ١ ص ٢١٦

وفى هذه الغزوة - غزوة أحد - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم": من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانه سماك بن خرشة أخو بني ساعده - فقال وما حقه يا رسول الله - قال أن تضرب به العدو حتى ينحني ،فقال أنا آخذه يا رسول الله بحقه فأعطاه إياه" فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس ،ولنترك الحديث للزبير بن العوام يصور لنا المشهد بكامله يوضح شجاعته وبسالته فيقول : وجدت فى نفسي حين سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانه ،وقلت أنا ابن صفية عمته ،ومن قريش ،وقد قمت إليه فسألته إياه قبله ،فأعطاه إياه وتركني ،والله لأنظر له ما يصنع فاتبعته ،فأخرج عصابة له حمراء ،فعصب بها رأسه ،فقالت الأنصار ،أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله ،وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفف عليه ،فجعل كل واحد منهما يدنوا من صاحبه ،فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين ،فضرب المشرك أبا دجانة ،فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه ،وضربه أبو دجانة فقتله ،ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ،ثم عدل السيف عنها ،قال الزبير قلت الله ورسوله أعلم" (١) ويعلل ذلك أبو دجانة - رضي الله عنه - فيقول "رأيت إنسانا يخمش الناس خمشا شديدا فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امراة ،فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن أضرب به امرأة . (٢) هكذا يفعل جند الله لحماية دينهم وحماية نبيهم إنهم يقدمون أنفسهم لله ،لقد باعوها بأن لهم الجنة وفى آخر هذه الغزوة حين وقع رسول الله فى الحفرة وانهال عليهم المشركون نجده يغدي رسول الله بجسمه" فيقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل "(٣)

---

(١) ابن هشام السيره النبوية جـ ٣ ص ٧٣
(٢) المصدر السابق .
(٣) " " ٨٧

وفى استعراضنا لبعض أحداث الغزوة نجد أحد الشباب الذين قدموا أنفسهم فى سبيل الله بالعمل لا بالكلام فهو عريس فى تلك الليلة فسمع مناد الجهاد فأقبل نحوه مسرعا دون أن يغتسل من الجنابة فلما قتل قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "إن صاحبكم لتغسله الملائكة فسألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت صاحبته عنه فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة "(١) وذكر السهيلى أنه التمس فى القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وليس بقربه ماء تصديقا لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو قد قال رأيت الملائكة تغسله فى صحاف الفضه بماء المزن بين السماء والأرض" (٢).

أعود فأقول إنه مشهد عظيم تعجز الأقلام والكلمات عن وصفه ، إنها التضحيه فى سبيل المبدأ بكل ما تحمله معاني ، إنه الإخلاص كل الإخلاص لدين الله - عز وجل - إنه تقديم - رضي الله عز وجل على من سواه ، وبهؤلاء قامت دعوة الاسلام ، وبهم قامت الدولة الإسلامية وبهؤلاء وأمثالهم انتشر الدين فى ربوع الأرض وارتفعت رآية التوحيد ، وتحطم الكفر .

إنني أقدم هذه الصورة من حنظله - رضي الله عنه - إلى شباب عصرنا اليوم علهم يفيقون من رقدتهم ويتذكروا لأي شيء خلقوا هل للمتعة واللذة الجنسية والتفكير أين يقضي شهر العسل - كما يسمون - .. يا شباب الإسلام إن هذا الرجل قد قضي ليس شهر العسل فحسب لكنه ليلة الزفاف فى ساحات الجهاد. وصورة أخرى يقدمها لنا أنس بن النضر - رضي الله عنه - وهو عم أنس ابن مالك - فبين قوة الإيمان واحتمال الصبر والجهاد فى سبيل الله فها هو يتوجع أسفا أن فاته الإشتراك فى غزوة بدر العظمي ويعد نفسه خيرا إن أدرك مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - غزوة بعد بدر وها هو يدرك غزوة أحد ويباشر القتال مع المسلمين فلما انكشف المسلمون فى ذلك اليوم " وجد عمر ابن الخطاب وطلحه بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال ما يجلسكم ، قالوا قتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما ت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل "(٣) فلقد اشتد على

---

(١) المصدر السابق ص ٧٩ ، انظر الواقدى ، المغازى جـ ١ ص ٢٧٣

(٢) السهيلي - الروض الانف جـ ٤ ص ١٦٤

(٣) ابن هشام السيره النبويه جـ ٣ ص ٨٨ ، الواقدى - المغازى جـ ١ ص ٢٨٠

القوم ، وأكثروا عليه الضربات والجراح حتى وجد يومئذ سبعين جرحا فلم يستطع أحد أن يعرفه لكثرة الجروح به فما عرفه إلا أخته بمعرفته ببنانه فرحم الله الأنصار وأبناء الأنصار ونساءهم فلقد وفوا ببيعتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - ؛ واشترك فى النصرة الشباب والرجال والنساء حتى المعوقين والشيوخ كبار السن شاركوا فى هذه النصرة فمن الشيوخ الذين شاركوا فى النصرة : حسيل بن رافع - أبوحذيفه بن اليمان - وثابت بن وقش حيث رفعا فى الآطام مع النساء والصبيان * فقال أحدهما لصاحبه " لا أبا لك ما تنتظر فو الله ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار ، وإنما نحن هامة اليوم أو غدا ، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله - صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخذا أسيافهما ثم خرجا ، حتى دخلا فى الناس ولم يعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن عامر فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه فقال حذيفة أبي ، فقالوا : والله أن عرفناه وصدقوا ، قال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاد ذلك عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيرا " (١) هذا ما فعله هذان الشيخان وهما كبيران فى السن ليس عليهما حرج لو جلسا عن القتال لكنها النصرة لدين الله وحب الشهادة فى سبيل الله .

وصورة أخرى يقدمها لنا عمرو بن الجموح إنه مع كبر سنه أعرج لا حرج عليه فى القتال كان له أربعة أولاد مثل الأسد يشهدون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المشاهد فلما كان يوم أحد أراد حبسه وقالوا له " إن الله عز وجل قد عذرك ، فأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجوا أن أطأ بعرجتي هذه فى الجنة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة ، فخرج معه فقتل يوم أحد "(٢)

---

(١) ابن هشام - السيره النبويه - جـ ٢ ص ٩٢ ، ٩٣

(٢) المصدر السابق ص ٩٦

وكما شارك أولئك مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذلك كان للمرأة المسلمة دور في النصرة والإيواء والجهاد في سبيل الله لم تكتف بوظيفتها التي خلقها الله من أجلها ، بل دخلت المعارك بالإضافة إلى تربية الرجال الذين تحملوا المسؤولية والإمانة وأدوها كاملة وها هي نُسيبة بنت كعب المازنية تقص علينا خبرها حين شاركت في هذه الغزوة - غزوة أحد فتقول " خرجت أول النهار ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقمت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمي القوس حتى خلصت الجراح إليّ "(١).

هذه هي المرأة وقد عرفت برقتها وعاطفتها الرقيقة وعدم قدرتها على تحمل هذه المشاق لكنه الإسلام والإيمان حتى تغلغل في النفوس فإنه يصنع الأعاجيب ويصنع ما يدهش العقول إن المرأة حين يمرض ولدها أو أحد أقاربها فإنها تولول وتكثر الصياح وهي طبيعة أنوثتها وهكذا خلقها الله عز وجل لتكون رحمة لهؤلاء الأطفال المساكين لكنها حين تؤمن بالله عز وجل فإنها تربي أولادها وترغبهم في الشهادة في سبيل الله وتفرح بذلك ، فهذه السميراء بنت قيس - إحدى نساء بني دينار قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم بأحد - فلما نعوا لها ، قالت : فما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فأشير إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة "(٢).

هذه النماذج التي مرت - ليست أمثلة - وليس للحصر وإلا فإن الإنصار رحمهم الله - ورضي الله عنه - لم يألوا جهدا في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - منذ أن بايعوه ، ولعلي أختم هذا الفصل بصورة من أحدهم وهو يوصي أصحابه بالنصرة والإيواء قال رسول الله

---

(١) من هشام - السيره النبويه جـ ٣ ص ٨٧ ، الواقدى ، المغازى جـ ١ ص ٢٦٨

(٢) " " " " جـ ٣ ص ١٠٠ الواقدى - المغازى جـ ١ ص ٢٩٢

من الاثير الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ١١٣

صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفي الاحياء أم في الاموات " فقال رجل من الانصار أنا أنظر يا رسول الله ما فعل سعد فنظر فوجده جريحا في القتلى وبه رمق ، قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات ، فقال سعد : أنا في الأموات أبلغ رسول الله عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله خير ما يجزى نبيا عن أمته " ثم يؤكد الوصية لقومه ويذكرهم بواجبهم وبالأمانة الملقاة على عواتقهم فيقول : وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف ، قال : ثم لم أبرح حتى مات " (١) .

إنها صورة جميلة فريدة في تأريخ البشرية على الإطلاق ، فالحب العميق لدينهم ولنبيهم هو زادهم بل هو غايتهم فرحمهم الله ورضي الله عنهم ونسأل الله أن يجمعنا بهم في مستقر رحمته .

---

(١) من هشام - السيره النبويه جـ ٣ ص ١٠٠ ، الواقدى - المغازى جـ ١ ص ٢٩٢

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فقد إنتهيت هذا البحث ولله الحمد والمنة عشت فيه بين صفحات الكتب وفي ربوع العلم ونهلت من معين السيرة النبوية العطرة ورأيت أغلب أحداثها وهذه من أعظم الفوائد التي أستفدتها من هذا البحث وعرفت كيف جابه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم بعقيدة التوحيد عقائد الكفر الباطلة حتى تحقق ما يريده في وقت وجيز .

كما أن من أعظم النتائج التي أستخلصتها من هذا البحث أن الدعاة إلى الله إذا أرادوا نشر هذا الدين فإنه يلزم عليهم الصدق والإخلاص والتضحية بكل نفس ونفيس كما هو الحال لصحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد إتصفوا بالأوصاف الكريمة ... الصدق والإخلاص ، والإيثار ، والجهاد في سبيل الله إلى غير ذلك مما إتصفوا به من الصفات العظيمة .

كما أن على المسلم بالإضافة إلى توكله على الله يجب عليه أن يأخذ بالأسباب المشروعة في كل عمل يؤديه وذلك مما يستفاد من حادثة هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن كانت جميع حوادث السيرة كلها عبر وفوائد ولكن حسبنا الإختصار وفي الأخير أسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ـ وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهـــــرس

المراجـــع والمصـــــادر

١) ابن الاثير (١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ ٢

(٢) الكامل فى التريخ جـ ٢ ط دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان .

(٢) ابن جرير الطبرى (١) تأريخ الامم والملوك جـ ٢ ط دار سويدان - لبنان - بيروت.

ت : محمد ابو الفضل ابراهيم .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ٦ ط ١ دار الفكـــــــر

بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

(٣) ابن الجوزى زاد المسير فى علم التفسير جـ ٣ - المكتب الاسلامي الطبعـــــة الثالثه ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

(٤) ابن حجر العسقلاني ـ فتح البارى - شرح صحيح البخارى جـ ١ ت : عبـــد العزيز بن باز جـ ١ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

(٥) ابن سيد الناس - عيون الأثر - جـ ١ دار المعرفة - بيروت - لبنان .

(٦) ابن القيم - زاد المعاد جـ ٣ مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الاسلامية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م . ت / شعيب الارناؤوط ، وعبد القادر الارناؤوط .

(٧) ابن كثير (١) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ط دار احياء الكتب العربيـــة .

(٢) البداية والنهاية جـ ٣ - مكتبة المعارف - بيروت - لبنان ١٣٩٨هـ

(٣) السيره النبوية جـ ٢ ط دار المعرفة ١٣٩٦/١٩٧٦م

ت / د. مصطفى عبد الواحـــد .

(٨) ابن منظور - لسان العرب جـ ١ - دار صادر بيروت .

(٩) ابن هشام - السيره النبويه ط دار احياء التراث العربى بيروت - لبنان .

ت / الأسقا/ مصطفى السقا ، ابراهيم الأبيارى ، عبد الحفيظ شلبى .

(١٠) أبو داود السجيستاني - سنن ابي داود جـ ٤ - ط دار احياء السنه النبويه ، شرح وتعليق / محمد محي الدين عبدالحميد .

(١١) ابو نعيم الاصفهاني - دلائل النبوه ط المكتبة العربية - نشر دار ابن كثير دمشق - بيروت - مكتبة التراث الاسلامي - حلب ت / محمد رواس قلعه جى الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م

(١٢) البلاذرى - أنساب الأشراف - دار المعارف - معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ت / د . محمد حميد الله .

(١٣) الجوهري - الصحاح - ط دار العلم للملايين ت / أحمد عبدالغفور عطار

(١٤) الراغب الاصفهاني - المفردات فى غريب القرآن ط دار المعرفة ت / محمد سيد كيلاني .

(١٥) السهيلي - الروض الانف ط دار النصر للطباعة ت / عبدالرحمن الوكيل

(١٦) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب - تيسير العزيز الحميد - شرح كتاب التوحيد نشر وتوزيع دار الدعوة والافتاء - المملكة العربية السعودية .

(١٧) محمد بن على الشوكانى - فتح القدير ط دار المعرفة - بيروت - لبنان .

(١٨) على بن برهان الدين الحلبي - السيره الحلبيه - دار المعرفة بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(١٩) الفيروز آبادى - القاموس المحيط ط دار الجيل .

(٢٠) محمد احمد الذهبي - السيره النبويه ط ت / حسام الدين القدس ١٤٠٣هـ

(٢١) محمد بن اسحاق - سيره اسحاق - ط الوقف للخدمات الخيرية تحقيق / محمد حميد الله .

(٢٢) محمد بن اسماعيل البخاري - الجامع الصحيح - جـ ٤ ط المكتبة الاسلامية استانبول - تركيا .

(٢٣) محمد بن سعد - الطبقات الكبرى جـ ١ ط صادر بيروت .

(٢٤) نور الدين السمهودي - وفاء الوفاء ط دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان - ت / محمد محي الدين عبد الحميد .

(٢٥) النووي - صحيح بشرح مسلم جـ ١٥ ط رئاسة ادارات البحوث .

(٢٦) النيسابوري - تفسير غرائب القرآن - ط دار الفكر - بيروت ١٣٩٨/١٩٧٨م وهو هامش على جامع البيان للطبري .

(٢٧) الواقدي - المغازي - ط عالم الكتب - بيروت ت . د/ مارسدن جونس

(٢٨) ابو الحسن الندوي - السيره النبويه - ط دار الشروق جده ١٣٩٧/٧٧م

(٢٩) البهي الخولي - تذكرة الدعاة - مكتبة الفلاح - الكويت ١٣٩٩/١٩٧٩م

(٣٠) سيد قطب - في ظلال القرآن - ط دار الشروق بيروت لبنان ٩٦/١٩٧٦م

(٣١) صالح بن أحمد الشامي - محمد معين السيرة النبوية ط. المكتب الإسلامي ١٤٠٥/١٩٨٥م

(٣٢) صفي الرحمن المباركفوري - الرحيق المختوم .

(٣٣) عبد الله خياط - حكم وأحكام السيره النبويه ط دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

(٣٤) د . عماد الدين خليل - دراسات في السيره - دار النفائس .

(٣٥) الامام محمد ابوزهره - خاتم النبيين ط دار الفكر العربي .

(٣٦) د . محمد سعيد رمضان البوطي - فقه السيره - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٠/١٩٨٠م .

(٣٧) محمد الصادق ابراهيم عوجون - محمد رسول الله - ط دار القلم ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

(٣٨) محمد الغزالي - فقه السيره - مطابع على بن على - الدوحه - قطر .

فهـــرس الموضوعات

الصفحـــه	الموضـــــــــوع
١	المقدمـــــــــــــــة
٥	التمهيـــــــــــــــــــــد
١٠	الفصـــــــــــل الأول
١٠	المبحث الأول عن المسلمين
١٠	أولا : النصرة من خديجـــة
١٨	ثانيا : ورقـــة بن نوفـــــل
٢٢	ثالثا : ابو بكر الصديـــــق
٣٣	رابعا : النجـــــــــاش
٤٢	خامسا : حمزه بن عبد المطلب
٤٥	سادسا : عمر بن الخطـــــاب
٤٨	المبحث الثاني : جهود غير المسلمين
٤٨	أولا : جهود ابي طالب فى النصـــرة
٦٣	ثانيا : هشام بن عمرو والذين سعوا معه فى نقض الصحيفة .
٦٩	ثالثاً : العباس بن عبد المطلب
٧١	رابعاً : أبو لهب
٧٦	مقتطفات من نصرة بعض كفار قريش
٨١	الفصل الثاني : الإيواء والنصرة فى العهد المدني .
٨٤	المبحث الأول : بيعتا العقبة الأولى والثانيـــة .
٨٤	أولا : بيعة العقبة الأولـــي
٨٧	ثانيا : بيعة العقبة الثانيـــة
٩٣	المبحث الثاني : مظاهر الايواء والنصرة فى المدينة .
١٠٠	الفصل الثالث : دور الايواء والنصرة فى مقاومة الأعـــداء .
١٠٠	المبحث الأول : دورهما فى مقاومة الاعداء داخل المدينة .
١٠٨	المبحث الثاني : دورهما فى مقاومة الاعداء من الخارج .
١١٦	الخاتمـــــــــة .
١١٧	فهرس المراجع والمصادر .
١٢٠	فهرس الموضوعـــــات .